ديجول والديجولية

د. حسن صعب

ينسب الى رينه كوتي René Coty قوله وهو يسلم رئاسة الجمهورية الى الجنرال ديجول : « هذا أول الفرنسيين يصبح الفرنسي الأول ». هذه كلمات قلما يقولها رئيس دولة عن خلف له. وهذه حالة قلما تحدث في رئاسة الدولة . فمن النادر ان يكون رئيس الدولة هو الاولى بها بين مواطنيه . ومن هنا نشأت في فكرنا السياسي نظرية ولاية المفضول مع وجود الأفضـــل . وتنطبق هذه النظرية على فرنسا الجمهورية اكثر من انطباقها على أية دولة أخرى . فقد اشتهرت

الجمهورية بايثار رئاستها بالرجل الاضعف، تفضيلا له على الرجل الاقوى. وكان ابلغ مثل على ذلك اخفاق كليمنصو في بلوغ الرئاسة بعد ان كسب لفرنسا الحرب العالمية الاولى. ولما سمع زميله البريطاني لويد جورج بنبأ اخفاقه، قال: « ان فرنسا تحرق هذه المرة جان دارك بيديها ».

ولكن ديغول خرج على هذه القاعدة بدون ان يخرج على الجمهورية، وتلبس شخصية جان دارك المنتصرة لاجان دارك المحترقة، المنتصرة في الحكم، والمنتصرة على البريطانيين، والمنتصرة على اصدقائها واخصامها في الداخل، وعلى حلفاء فرنسا واعدائها في الخارج. فكيف تمت له مثل هذه المعجزة في ظل الجمهورية الفرنسية التي لم يغيرها، وفي ظل الديموقراطية الفرنسية التي تغير شكلها في ظله بدون ان يتغير جوهرها؟

لو كان ديغول نفسه هو الذي يجيب على هذا السؤال، لقال: انها ارادة التاريخ او ارادة القدر. وقد عبر عن مثل هذا الاقتناع بقوله: « انني اشعر انني أقوم بوظيفة تتجاوز شخصي، وبأنني اداة في خدمة القدر ». ويملأ هذا الشعور نفس ديغول كما يملأ نفس كل قائد يبلغ موقع القدرة، فاذا هو فيه في موعد مع الآلهة، أو في موعد مع القدر، او في موعد مع التاريخ، أو في موعد مع الثورة، أو في موعد مع الأمة، أو موعد مع الشعب، أو موعد مع الوطن. ويحدد ديغول موعده مع القدر بأنه قبل كل شيء موعد مع قدر فرنسا التاريخي، فيقول في مذكراته: « أمام الفراغ المرعب الذي وقعت فيه فرنسا ... ألفيت نفسي أنا اجسدها ... ».

انا قدر فرنسا، وقدر فرنسا أنا، بل أنا فرنسا، وفرنسا أنا. هذه الصوفية القومية هي اقرب شيء الى التعبير عما يخالج نفس ديغول من تفان فيما بين قدره الذاتي وقدر فرنسا التاريخي. وتعطي هذه الصوفية لقيادته معنى رسوليا

يبدو غريباً في القيادات السياسية الحديثة بصورة عـــامة والقيادات في الدول الديموقراطية بصورة خاصة . ولا يمكننا ان نفهم كيف يمكن لمثل هذا القائد الرسولي ان يتولى امر فرنسا في النصف الثاني من القرن العشرين ، الا إذا حاولنا ان نتبين ذلك على ضوء ثلاث ظواهر قيادية رئيسية ، وهي ظاهرة القيادة القيصرية الفرنسية ، وظاهرة العلاقة بين الأمن والقيادة السياسية ، وظاهرة العلاقة بين التقدم التكنولوجي والقيادة السياسية .

والظاهرة القيصرية الفرنسية هي من خصائص التاريخ السياسي الفرنسي منذ ان زالت الملكية وحلت محلها الجمهورية . وهي ظاهرة الالتجاء الى قائد وقت المحنة أو الأزمة يكون اقرب الى قيصر او الى ملك منه الى رئيس جمهورية . وبلغت الظاهرة اوجها مع نابليون بونابرت ، وعادت الى البروز بعد ذلك مع نابليون الثالث ، وبولنجيه ، وبيتان ، وديغول . وقد عانت فرنسا منـــذ الثورة سلسلة متلاحقة من الأزمات الداخلية والخارجية ، وتحولت ارضها في هـــذه الأزمات اكثر من مرة لساحة حرب . وعانت الاحتلال العسكري الاجنبي الذي نجت منه بريطانيا بفضل الفاصل البحري بينها وبين ارض القارة . ولذلك اتيحت لبريطانيا ، كما اتيح لأهل الجزر الانكلوسكسونية اطرادية نظامية في الحكم لم تتح لفرنسا . وديغول القائد السياسي هو ابن المحنة التي نزلت بفرنسا بعد اجتياح المانيا لها في الحرب العالمية الثانية . رفض الهزيمة والاستسلام وآثر عليها الهجرة والمقاومة . وزكى التاريخ موقفه هذا ، وكان ، قبل ذلك مثـــال الشخص المجهول ، والضـــابط المكروه ، كما يبين هو في مذكراته اذ يقول : « لم اكن شيئاً اول الامر . ولم تكن حولي ظـــل من قوة او من تنظيم . ولم يكن لي أي صدى في فرنسا ، ولم تكن لي أية شهرة . ولم يكن احد يثق بي أو يدافع عني في الخارج » . فتحول بعد اتخاذ هذا الموقف التاريخي من مواطن

فرنسي متجاهل أو مجهول في الداخل والخارج الى قيصر فرنسا الجديد ، ولكنه ظل مع ذلك قيصر جمهورياً .

واكتسب هذه الصورة الجديدة في ظروف يسود فيها الاضطراب حياة فرنسا وحياة العالم كله . ولم ينته هذا الاضطراب بانتهاء الحرب العالمية الثانية . بل كانت نهاية الحرب بداية لفترة اضطراب قد تكون أعمق من كل ماشهدته الانسانية اثناء الحرب . فقد آذنت الحرب بانتهاء دور الدول الاوروبية كدول اولى في العالم وحاول الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي فالصين الشعبية محلها في نادي الدول العظمى . ونشب الصراع الايديولوجي واحتدمت الحرب الباردة بين الغرب والشرق . وانفجرت ثورة العالم الثالث في سبيل التحرر والاستقلال ودخلت الانسانية العهد الذري . فأصبح توازن الرعب النووي وكل مايرافقه من خوف وقلق قوام التوازن الدولي الجديد .

وواجهت فرنسا في الداخل والخارج ازمات التكيف مع هذا التوازن المرعب الجديد . وفي مثل هذا الجو من الاضطراب والخوف والقلق والرعب ، تطمئن نفس المواطن الى الحاكم القيصري اكثر مما تطمئن الى الحاكم الجمهوري . انها فترة طوارىء مازال تعيشها فرنسا ، وتعيشها الانسانية كلها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى الآن . وفترة الطوارىء هي فترة حكم القياصرة اكثر ماهي فترة حكم القادة الديموقراطيين .

واقترن التغير الذي عرفته هذه الفترة بتقدم تكنولوجي خارق في الدول المتقدمة . وشمل هذا التقدم الصناعة مثلما امتد الى المواصلات . وبرزت صورة الانسان الاوتوماتيكي وصورة المجتمع الاوتوماتي عبر الانسان الصناعي والمجتمع الصناعي . واصبح الانسان اشبه شيء بآلة انتاجية او استهلاكية .

وتحولت الدولة والادارة الى آلة منظمة احدث تنظيم . وتولت الآلة الحزبية او النقابية الوساطة بين المواطن والدولة . فاصبحت علاقاته بها آلية اكثر مما هي شخصية . فافتقد المواطن الصورة الانسانية للحاكم . فأخذ ينشدها في « القائد الفرد » يؤنس من خلاله آلة الحكم ، وينظر اليه نظرته الى الأب ، ويرفعه بهذه النظرة فوق آلة الانتاج ، وآلة الحكم ، وآلة الحرب ، وآلة الادارة ، وآلة الحزب ، واذا بهذا الاب مع اختلاف الاحوال والظروف ديغول في فرنسا ، وايزنهاور في الولايات المتحدة ، والملك في اسكندنافيا ، يحاول المواطن ان يسترد بتعاطفه معه ماتفقده الآلة الصناعية والاجتماعية من شخصيته الانسانية .

ان هذه الظواهر الثلاث تفسر ديغول والديغولية تفسيراً تاريخياً عاماً ، وتجعل منه صورة جديدة للقصرية الفرنسية التقليدية ، ووجها من وجوه القصرية السياسية المعاصرة . ولكنها تحجب وراءها صورة ديغول الذاتية . وهي الصورة التي تعكس علاقة القائد الفرد بالتاريخ . فهل يكون القائد الفرد صنيعة التاريخ لا أكثر ولا أقل أو انه يكون هو ايضاً صانع التاريخ ؟ ان القائد العبقري الفرد يصنع التاريخ بقدر مايصنعه التاريخ . يصنعه التاريخ تحت وطأة سنن بيئية وظرفية لامفر منها ، ولكنه يصنع التاريخ بفضل الاختيارات التي تبرز امامه ، فيفضل اختياراً على آخر ، ويكون هذا التفضيل مقياس شخصيته الفذة ، ومعيار دوره التاريخي الخلاق . وقد واجه ديغول اختيارات تاريخية هي من اقسى ماواجه اي قائد سياسي معاصر ، فكانت الاختيارات التي فضلها سلم صعوده الى المكانة التي يتبوأها اليوم في وطنه وفي العالم كله .

كان عليه ان يختار بين ان يكون ضابطاً منصاعاً لرؤسائه الذين لا يؤمن

بآرائهم العسكرية او أن يكون ضابطاً حراً مبشراً بآراء جديدة ، فاختار حرية التبشير بأفكار جديدة .

وكان عليه ان يختار بين الاستسلام للمحتل الالماني النازي او الخروج على الحكومة المستسلمة واعلان المقاومة ومواصلة القتال ، فاختار المقاومة ومواصلة القتال .

وكان عليه ان يختار بعد ان عاد الى فرنسا محرراً بين التعاون بين اليمين السياسي الذي يعتبر الضابط العسكري ابناً له وبين اليسار السياسي الذي كان يقاوم الاحتلال من الداخل ، فاختار التوسط بين اليمين واليسار بالرغم من كل مابينه وبين احزابها من اختلافات ، وان اتخذ هذا التوسط شكل التعالي على جميع الاحزاب .

وكان عليه أن يختار بين الاحتفاظ بمستعمرات فرنسا بالقوة والاكراه وبين اعلان استقلال هذه المستعمرات واكتسابها بالصداقة والتعاون ، فاختار الحرية لا الاستعمار .

وكان عليه أن يختار بين السياسة الفرنسية الامبراطورية وسياسة فرنسية اوروبية ، ففضل الاتجاه الاوروبي على الاتجاه الامبراطوري .

وكان عليه أن يختار بين موقف الحليف التابع تجاه الحلفاء الاطلسيين وموقف الصديق الند ، فاختار موقف الصديق الند .

وكان عليه أن يختار بين موقف الانسحاب من العالم الثالث بدون أي شعور بالمسؤولية تجاه دوله السائرة في طريق النمو وبين موقف المساعدة الفعالة لهذه الدول ، فاختار موقف المساعدة .

وكان عليه أن يختار في الخامس من حزيران بين موقف التحيز الاعمى

للمعتدي الاسرائيلي ، وموقف الحياد بين المتقاتلين ، واستنكار العدوان ففضل الحياد واستنكار العدوان .

وكان عليه أن يختار بين اعتماد هذه الاختيارات وتنفيذها في ظل نظام دكتاتوري يفرضه بواسطة الجيش أو في ظل نظام ديموقراطي متكيف مع الأحوال الجديدة ينبثق من ارادة الشعب ، فاختار النظام الديموقراطي .

هذه الاختيارات هي التي جعلت من ديغول القائد الذي يتأثر بتاريخ وطنه ويؤثر فيه ، وينفعل بالتاريخ الانساني ويفعل فيه . بل انها هي التي اتاحت له أن يعطي طابعه الشخصي لسياسة فرنسا على وجه يسمح بالتحدث عن الديغولية . ويتفق هذا الموقف مع مفهوم ديغول للقائد السياسي كما بينه منذ شبابه في كتابه : « حد السيف » Fil de l'épée . فيقول أنه ينتظر من القائد « ان يهيمن على الاحداث ، وان يطبعها بطابعه ، وان يتحمل عواقبها ... وان يرتفع بما يقدم للمهمة العامة من اندفاع ومن ضمان الشخصية » . فالقائد ذو الشخصية يواجه الحدث أول مايواجهه بالعودة الى ذاته ، ويتحرك « ... ليفرض على العمل طابعه ، وليتبناه لحسابه ، وليجعل منه شغله الخاص . وما يلبث أن ينتصب واقفاً لمجابهته ، بدلاً من أن يلوذ بالتسلية ، او ان يختبىء وراء النصوص ، أو ان يتذرع بمختلف التبريرات ... » .

ان ايمان ديغول العميق بفرنسا جعله يعتقد ان اختياره هو لأي موقف دون الآخر هو اختيار فرنسا نفسها . ولذلك مضى ملتزماً باختياراته وعاملا على ترجمتها في سياسة وجاهداً لتنفيذها غير عابىء بالصعوبات التي تعترضه . ويقول في هذا : « ان الصعوبة تجتذب الانسان ذا الشخصية ، لانه يحقق ذاته بتذليلها . ويظل يغالبها سواء انتصر عليها او لم ينتصر . ويتخذ منها موقف العاشق الحسود

الذي لا يشارك فيا تعطيه او فيا تكلفه ، ولكنه ينشد عبرها متعة المسؤولية الصارمة . » والصعوبة الكبرى التي واجهت ديغول وواجهت كل مسؤول فرنسي هي صعوبة التحول الاساسي الذي اجتازته فرنسا من الجمهورية الثالثة الى الجمهورية الخامسة . وهي ككل فترة مماثلة تضج بامكانات واتجاهات متناقضة أدت الى انقسامات ومنازعات حزبية عنيفة ذهبت بالاسطورة التي سادت في فرنسا أثناء الحرب العالمية الاولى ، وهي ان الفرنسيين أحزاب متعددة وقت السلم ولكنهم حزب واحد وقت الحرب . وظهرت هذه الانقسامات حين انشطرت الاحزاب الفرنسية قبل دخول الاتحاد السوفياتي في الحرب الى احزاب تتعاون مع المحتل الالماني واحزاب تقاومه ، وانشطرت بعد انتهاء الحرب الى أحزاب تريد التقارب مع موسكو واخرى تريد التحالف مع واشنطن واخرى تدعو للحياد بين المعسكرين ، واحزاب تؤيد الشعوب المستعمرة واحزاب تريد الاحتفاظ بالمستعمرات بأي ثمن . فاضعفت هذه الانقسامات من مكانة الاحزاب لدى الفرنسيين ، واتاحت لديغول ان يتهمها كلها بانها تمثل ملاكات تقليدية بالية ، وتدافع عن مصالح خاصة ، بينما يدافع هو وحده عن الامة الفرنسية ككل ، ويجسد روحها ، ويجسم قوميتها ، وينطق بأمجادها ، ويتجاوب معها من فوق الاحزاب بالتخاطب المباشر مع الشعب . ويعتمد في كل هذا على تجاوب الجماهير معه ، لانه يقدر كل التقدير ان الزعامات المدنية والعسكرية تقف في وجه القائد ذي الشخصية . ولذلك يتحتم عليه أن يتوجه نحو الجماهير لا ليغريها او يضللها بل ليرضي بطموحه لكل ماهو عظيم ، توقها للارتفاع والسمو . « ففي نفس كل انسان نزعة دفينة لكمال الغاية تنشأ من شعوره بعجزه العضوي ، ومن وعيه لحدود امكاناته الخاصة ، ولذلك يقبل على العمل الجماعي الذي يوجه نحو ما هو عظيم . فيتوجب

على القائد ألا يأمر الا بما يحمل طابع السمو » . ومن هنا فان التجاوب العميق بين ديغول والشعب الفرنسي هو تجاوب الدعوة لعظمة فرنسا .

وليست هذه الدعوة لعظمة فرنسا من وحي الغرور القومي ، او الزهو الوطني فحسب ، ولكنها ايضاً من وحي الاقتناع بانه بالرغم من كل عرف الانسان الحديث من تغييرات اجتماعية وايديولوجية ، فان الشعور القومي مازال هو الشعور الغالب لدى جميع البشر . ولذلك يجب ان يعتبر العامل القومي الاساس الأول في التعامل بين الشعوب والدول . ويساعد هـــذا الاقتناع على تفسير الاختيارات التاريخية التي فضلها ديغول وتوضيح الاتجاهات السياسية التي آثرها . فاختيارة المقاومة على الاستسلام للاحتلال الألماني هو اختيار القومي الفرنسي ، الذي ينظر الى حرية وطنه نظرة مطلقة ، ويرفض أي تعاون مع العدو قبل ان يجلو عن أرض الوطن . ويرفض ايضاً مبررات التعاون مع المحتل التي نادت بهـا مدرسة التعاون الفرنسي ـ الألماني ، التي تلقي على بريطانيا اوزار ما عانتـــه فرنسا . ويعتبر أن التعاون مع المانيا أو مع بريطانيا يجب أن يكون اولاً على أساس حرية فرنسا واستقلالها ، وعلى أساس المساواة التامة بينها وبين الحليف . ولذلك فان رفضه للاحتلال الالماني ليس اقوى من رفضه لاتخاذه موقف الحليف المستضعف تجاه البريطانيين او الانكلو سكسون الذين اتخذ بلادهم قاعدة للمقاومة والكفاح . فكان ومازال يعرف بينهم بالحليف العصي، حتى اطلقت عليه الصحف البريطانية في فترة مابعد الحرب لقب الجنرال « لا » .

وكان العامل القومي هو الذي أملى عليه بعد تحرير باريس اتخاذ موقف الوسط بين اليســـار واليمين الفرنسي : اتخذ موقف الوسط في السياسة الداخلية بين الحرية الاقتصادية والتخطيط الشامل فاعتمد التخطيط الهادىء ، وبين المبـــادرة الفردية والتأميم الكامل فآثر تأميم الصناعات

الرئيسية . واتخذ موقف الوسط في الخارج بين الالتحام بالكتلة الغربية او الالتحام بالكتلة الشيوعية فقبل التحالف الغربي وما اقترن به من مساعدة اميركية، ولكنه ظل يعمل في سبيل التقارب مع الاتحادالسوفياتي . واتخذ هذا الموقف اعتقاداً منه بأنه الموقف الذي تريده الأمة الفرنسية ، والذي يضمن الخير الفرنسي العام ، والذي يؤمن لفرنسا ان تبني اقتصادها من جديد ، وان تنشيء قوتها الدفاعية الذاتية ، وان تلعب الدور الجدير بها في السياسة الدولية . وقد استطاعت فرنسا بفضل هذه السياسة وبفضل المجال الأوسع الذي اقامته السوق الأوروبية المشتركة ان تجدد بنيتها الاقتصادية ، وان تحقق معدلاً للنمو الصناعي، ونسبة للنمو السكاني ، واستقراراً في نقدها الوطني ، وتوازناً بين صادراتها ووارداتها لم تعرف له مثيلاً فيما سبق من تاريخها .

واختيار ديغول السياسة الاوروبية مستوحى من نفس الاعتبار القومي ، فهو يؤمن بالقومية الفرنسية ، ولا يعتقد بالقومية الاوروبية . ولذلك يتحدث عن « اوروبا الاوطان لا اوروبا الوطن » . ولذلك يعتقد بالتعاون الاوروبي على اساس السيادة والاستقلال لا بالتوحيد او التلاحم السياسي الاوروبي ... ويمتد ببصره ورؤياه التاريخية لقارة تشمل اوروبا الغربية والشرقية معاً . ويعتقد ان روسيا هي اوروبية اكثر مما هي آسيوية . ويتوقع ان تنتصر القومية في جميع دول اوروبا على اية ايديولوجية اخرى ، فيكون هذا الانتصار ايذاناً بتكوين مجموعة اوروبية عظمى تمتد من « ايسلندا لاسطنبول ومن جبل طارق الى جبال الاورال » . ويكون لفرنسا دور قيادي فيها . فتقي اوروبا من السيطرة الانكلوسكسونية ومن خطر الانبعاث الالماني ، وتنقذ العالم من خطر الانقسام الثنائي بين موسكو وواشنطن . وهذا المفهوم لاوروبا هو الذي يفسر مضيه في

التعاون الاوروبي الاقتصادي داخل السوق المشتركة مع رفضه الاتحاد السياسي ، كما يفسر اصراره على استبقاء بريطانيا خارج السوق المشتركة .

والعامل القومي هو الذي اوحى ايضاً باختيار تحرير المستعمرات بدل استمرارها داخل الامبراطورية الفرنسية او الاتحاد الفرنسي . فهذا الاختيار هو اختيار قومي ذرائعي اكثر مما هو اختيار ايديولوجي مبدئي . فديغول هو نفسه الذي امر باعتقال قادة لبنان المطالبين بالاستقلال عام ١٩٤٣ ، وبقصف دمشق المطالبة بالجلاء عام ١٩٤٥ . وهو نفسه الذي اعلن امام المجلس الوطني الفرنسي في نفس العام بأن سورية ولبنان لم يكونا ابدا مستقلين في تاريخهما ، فلماذا يريدان الاستقلال عن فرنسا ؟ وهو نفسه الذي امر بمجزرة سطف المربعة في الجزائر عام ١٩٤٥ . ولكنه مالبث بعد ان عاد الى الحكم بفضل حركة الجيش الفرنسي في الجزائر عام ١٩٥٨ ان فتح الباب لحرية الجزائر وحرية جميع المستعمرات . ذلك لأنه ادرك بعد تجربة الحرب في الهند الصينية والثورة الجزائرية ان المستعمرات هي عبء يشل حركة فرنسا ، ويحول دون قيامها بدورها الدولي . ولذلك فان الافضل لفرنسا ان تسقط هذا العبء عن كاهلها ، وان تتخذ المستعمرين أصدقاء احراراً ، بدل ان تحاول الاحتفاظ بهم عبيداً اعداء .

ويتفق مع هذا الموقف اختيار ديغول مساعدة العالم الثالث ، والتقارب من الصين الشعبية . فشعوب العالم الثالث تؤلف نصف الانسانية . والصين الشعبية وحدها تكاد تؤلف ثلث الانسانية . وهذه الشعوب الآسيوية والافريقية والاميركية اللاتينية تمثل الثورة الكبرى في العالم المعاصر ، وتؤلف قوة الغد الانساني . والاولى لفرنسا ان تقدم لها مساعدة انمائية تكسب بها ودها

وصداقتها ، وتتيح لها فتح اسواقها للخبرات والرساميل والمنتوجات الفرنسية وفتح ثقافتها للافكار والمفاهيم الفرنسية .

وموقف ديغول المحايد بين الدول العربية واسرائيل في حرب الخامس من حزيران مستمد هو ايضاً من حرص ديغول على ان تقوم فرنسا بدور رئيسي في احلال السلام في الشرق الاوسط ، وعلى ان يلعب هو دوراً شخصياً في تسوية المعضلة الفلسطينية . ولذلك وقف ضد الحرب في الشرق الاوسط وقوفه ضد الحرب في الشرق الاقصى . واعلن معارضته للمبادىء بالاعتداء في الشرق الاوسط، مثل اعلانه لمعارضته للمبادىء بالاعتداء في الشرق الاقصى . فالحرب في نظره لا تحل مشكلات الشرق الاوسط كما انها لا تحل مشكلات الشرق الاقصى . وهو يخشى التصعيد الذي قد يؤدي بهذه الحروب الموضعية الى حرب كونية نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ولذلك يبشر باسم فرنسا بالحلول السلمية وبالتفاوض ، ويحاول ان يحتفظ لفرنسا باوفى قدر من الاستقلال ومن الحياد تجاه حلفائها واصدقائها لتتمكن من تمثيل هذا الدور التوسطي بين الشرق والغرب وبين الدول المتنازعة . واختيار باريس مركزاً للمفاوضات بين واشنطن وهانوي هو تكريس لهذا الدور .

ويمارس ديغول السياسة التي تقوم على هذه الاختيارات كرئيس شرعي للجمهورية الخامسة ، يمارسه ديموقراطية ودستورية تامة . وتبدو الديموقراطية ثوباً قصيراً لقامة ديغول الفرعاء . وتبدو قميصاً خلقاً اذا تذكرنا ان الجيش الفرنسي في الجزائر هو الذي اعاده للسلطة عـــام ١٩٥٨ . ولكن ديغول استطاع بمعاونة الديغوليين ، وأكثرهم من الخبراء لا من السياسيين المحترفين ، ان يعيد تفصيل الثوب الديموقراطي بطريقة استفتائية شرعية ، ليعطيه الشكل الذي تتطلبه قيادته

القومية لفرنسا في الظروف الحرجة ، وتقضي بـه حاجـة فرنسـا لقيـادة عصرية منسجمة ومستقرة وخلاقة . وقام بهذه المهمة واثقاً أنـه مفوض من قبل الشعب لاعادة تنظيم الجمهورية ، ولتصحيح الديموقراطية ، ومدركاً أن أول متطلبات هذا التنظيم الحؤول دون تكرر العصيان العسكري الذي افضى به للسلطة . فعزز في الدستور الجديد السلطة التنفيذية على وجه يجعل منها سلطة رئاسية أكثر مما هي برلمانية . فاعلن الدستور رئيس الجمهورية « القيم على الاستقلال الوطني والسلامة الاقليمية واحترام .. المعاهدات ... » وخوله حق مفاوضة المعاهدات والمصادقة عليها ، وحق حل مجلس النواب ، وحق أستفتاء الشعب ، وحـق الاستماع بسلطات استثنائية في اوقات الطوارىء . ولكنه استبقى للبرلمان حق التشريع والرقابة على السلطة التنفيذية ، واستبقى المواطن الناخب الحكم الأخير بين السلطتين التنفيذية والتشريعية . ويعتقد ديغول أن الثقة المتبادلة بينه وبين المواطن تجعل هذه السلطة الواسعة المخولة له كرئيس للجمهورية « سلطة وطنية ، لا سلطة شخصية أو حزبية . ويعبر عن هذا في مذكراته فيقول : « كنت مصمماً على ان ارفض أية سلطة الا تلك التي تخولني اياها الجماهير تخويلاً مباشراً ... وها هي الصلة قد استقامت بـــين الشعب وبين مرشده ، فحسم بذلك كل نزاع حول السلطة الوطنية » . وبذلك تكون شرعية ديغول شرعية ديموقراطية ودستورية، ولكنها تكون في نفس الوقت شرعية رسولية .

وهذه الشرعية الرسولية هي شرعية القائد الذي يبدو كالنور الهادي في ظلمات الطوارىء والازمات . والديغولية هي ابنة الأزمة الانتقالية الفرنسية من تقليدية الجمهورية الثالثة الى عصرية الجمهورية الخامسة . انها القيادة التي مكنت فرنسا من التكيف مع متطلبات الدور الذي تمليه عليها التغيرات التي عرفها العالم في فترة ما

بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن التكيفات الديغولية ليست كلها تكيفات تقدمية . فقد استطاع ديغول ان يوجد فرنسا حول شخصه لا حول حزبه ، واستطاع ان يستقل بفرنسا استقلالاً يقوم على توازن القوى الدولية اكثر مما يقوم على قوة ذاتية فرنسية حقيقية ، واستطاع ان يتقدم باقتصاد فرنسا بدون ان يحدث تغييرات بنيوية اساسية في المجتمع الفرنسي ، واستطاع ان يعزز مكانة فرنسا في اوروبا وان يضعف مكانة اوروبا في العالم باعاقته للاتحاد السياسي الاوروبي . ولذلك يبدو أن أسلم ما قام به منذ عودته للحكم عام ١٩٥٨ هو الدور الجديد الذي اعطاه لفرنسا في العالم الثالث . ويبدو حتى الآن الجديد الأهم في الديغولية ديغول نفسه ، لا الفلسفة السياسية الديغولية ، ولا القادة الديغوليون ولا النظام السياسي الديغولي . ولذلك تبدو الديغولية متوقفة على استمرار ديغول في الحكم وبقائه على قيد الحياة . وكيفما كان مصير الديغولية بعد ديغول ، فانه يظل نموذجاً قيادياً فذاً من نماذج التاريخ الفرنسي ، ان لم يكن من نماذج التاريخ الانساني التي تجسم التفاني الكامل بين شخصية القائد وبين روح الأمة التي تختاره لقيادتها .

إرادة الصمود
ومشيئة المجابهة العربية

أمين النفوري

تمهيد :

يتساءل العرب في جميع أقطارهم منذ عشرين عاماً وبعد كارثة ١٩٤٨ ونكبة ١٩٦٧ عن الاساليب السياسية والعسكرية المجدية وطرق استنقاذ واسترداد فلسطين .

وقد ناقش كثير من الكتاب والمفكرين العرب هذه المسألة ولمسوها لمساً خفيفاً ومن بعيد ، كل على طريقته الخاصة في التفكير والكتابة .

فمنهم من تطرق الى تعبئة الادب والشعر والى ضرورة التزام الاديب بخط معين من التفكير لبحث ادب النكبة وذيوله كسبيل للتوعية .

ومنهم من بحث الناحية السياسية بصورة عامة ، والأقـل من ذلك من تعرض للجوانب العسكرية العملية ، وعرض الحلول الممكنة ورسم الخطوط والمعالم الواضحة لاسترداد فلسطين بصورة عملية واقعية نتيجة تدابير تنفيذية واجراءات واقعية .

واذا كنا اليوم نحاول ان نتجاوز مصاعب النكبة ونتغلب على ذيولها النفسية والعسكرية لندرك ونتفهم ابعاد المعركة ونتعرف على اخصامنا ونعرف عدونا وعقليته

واساليبه السياسية والنفسية والعسكرية والاقتصادية في المجال العالمي وعلى النطاق المحلي، فعلينا قبل كل شيء ان نعرف انفسنا وموضع الضعف ومواطن القوة فيها ، وان نبني شخصيتنا من جديد ، ونعتقد ونعتنق عقيدة الصمود والمجابهة ازاء الخطر الاستعماري الصهيوني ، وان نتخذ التدابير الفعالة لذلك بعد تصميم وتخطيط فكري سياسي - استراتيجي لاساليب العمل العربية .

وهذه الدراسة محاولة بدائية لبلورة مفهوم دفاعي جماعي عربي في اطار الاوضاع المحلية والأحوال العالمية السائدة والمقبلة واحتمالات تطورها بالنسبة للعدو الرئيسي للعرب: الاستعمار والصهيونية .

وفي هذا المناخ العالمي والاطار العاتي من مختلف الضغوط على الامة العربية خاصة ينبغي ان يدرك كل مواطن عربي موقعه وموقفه من الاحداث وان يعرف الخطوط العامة لسلوكه الدفاعي الفردي والجماعي ، اذ ان القضايا السياسية والعسكرية الخطيرة التي يطرحها الصراع المصيري للعرب مع الصهيونية والاستعمار والتي تتداخل وتتشابك في الحياة اليومية للجماعات والافراد في كل المجتمع العربي لم تعد تهم وتخص رجال السياسة والدولة وكبار القادة فحسب بل اصبحت تعني رجل الشارع العادي وكل مواطن عربي أنى وجد ، لان كل التدابير السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية التي تتخذ إنما يجري اتخاذها باسمه وللدفاع عن بقائه وكيانه ومصيره ، ولاقناعه بصحة السلوك المتبع في المجال الداخلي والخارجي .

فعلى كل مواطن عربي ان يدرك ويعي ويعرف على وجه ما ، مايجري حوله ومايدور في افقه ، فعلى قدر ثقافته ومستواه الفكري يستطيع ان يدرك بعض مظاهر هذه الفعالية العسكرية التي هي قمة الفعالية الاجتماعية الانسانية ، لان الانسان العربي هو في النهاية مادة ووقود هذا الصراع الدائر حوله ، ولأنه يتوقف مصير الامة العربية ونتيجة الصراع مع الصهيونية والاستعمار على مقدار تفهمه لوضعه وتتعلق فعالية الصمود والمجابهة آخر الأمر بدرجة تفكيره ومعنوياته وروحه النفسية ومقدار تدريبه واستعداده الشخصي لخوض المعركة وتقبل التضحية والاستشهاد .

عسى ان يكون في هذه المحاولة مايفيد المجتمع العربي ومايركز بعض الأفكار ويؤكد بعض المفاهيم المبدئية ويضع نقاط انطلاق موضوعية لمعركة الصمود والمجابهة والاسترداد والعودة للديار المقدسة . . .

بعد كارثة ١٩٤٨ ونكبة ١٩٦٧ ينبغي على الانسان العربي (السياسي، القيادي الجماعي ، الفردي) ان يعيد النظر في أسس منطلقاته الفكرية وفي أصل تصميم وتخطيط عقيدته السياسية الاجتماعية النابعة من هذا الفكر وأن يجدد رسم هذه العقيدة الحديثة ويعيد صياغتها وتخطيطها ، وأن يجد الأساليب والطرق الملائمة لتطبيقها وتنفيذها ، لتجنب فواجعا أكثر خطورة ومصيرية على بقائه وحياته في مستقبل الأيام اذا ما استمر العرب في سلبيتهم وعطالتهم الفكرية والنفسية والعسكرية واذا ما ثابروا على الاستجابة لما يحيكه لهم عدوهم من شلل مصطنع وقمع لابداعيتهم وزجر لحيويتهم .

ان المنطلق الاساسي هو ان يفهم الانسان العربي موضعه في الزمان والمكان وان يعي حاله وحالته بوضوح وان يدرك بجلاء الواقع الاستعماري الصهيوني المعادي له وان يعرف قبل كل شيء مواطن القوة والضعف في نفسه وفي خصمه فيستند الى مواقع القوة فيه ليتدارك الوهن ويزيل الضعف ويزداد قوة ومنعة على خصمه ، ويرتكز في كل ذلك على مقوماته الفكرية والنفسية الأصيلة، وعلى بناء قوته الذاتية وتكثيرها ، وعلى كسب الاصدقاء ومشايعة المحالفين له ، وعلى تخذيل الخصم وتوهينه وردعه .

وفي هذا الاطار النفسي الفكري الواضح يتساءل الانسان العربي عن قضاياه المصيرية ويقف على عتبة اختيارات ذهنية كثيرة فيما يتعلق بقضية فلسطين

خاصة ولكنها آخر الأمر تؤول الى اختيار وحيد لامناص ولا فكاك أن يحيد عنه نتيجة التمحيص والمحاكمة العقلية المجردة والاختيار العملي الحقيقي .

ان المسلمة الاساسية في الذهن العربي الاصيل هي ان فلسطين وشعبها جزء من أرض وشعوب العرب ، يستحيل التنازل عنها او التضحية بها خوفاً من شر أعم يصيب العرب اذا ما تمسكوا بها ، وخشية من مغبة التعنت والعناد ازاء خصم لا يقهر حسبما يزعم - والمحافظة على ما تبقى من أرض العرب .

ان سلوكاً مناقضاً لهذا الموقف العربي الأصيل في هذا المجال لا يؤدي إلا إلى اطماع العدو بضعف العرب ، وتشجيعه على العدوان عليهم والاستشراء في طغيانه ، مع ما يستتبع ذلك من استحالة البقاء الطبيعي العضوي للعرب في ارضهم أزاء سياسة التراجع والانحسار والتبعية والخوف والاذعان والرضوخ .

وليس بعد ذلك ، غير الزوال والاستئصال والانقراض .

ان رد الفعل الطبيعي الغريزي للكائن الحي ، على التحدي والاثارة والتهديد ، هو المقاومة والمجابهة مهما كانت القوة المناهضة .

غير ان الانسان العاقل الواعي يطور اساليب دفاعه السلبية ويحولها الى وسائل ايجابية بالتنظيم والصبر والرغبة في التصميم بنية صادقة مخلصة ليتسنى له بمرور الزمن الثبات والتصدي الفعال للتهديد دون ان ينجرف في فورة حماسه وفي حالة ضعفه للقاء خصمه القوي بوسائل واهنة قليلة يستخدمها قبل اوانها .

وعلى هذا ، يستحيل تغيير هذه المسلمة المنطقية ، ويستبعد اطلاقاً ، ولا يحتمل ابداً ان يتبدل ويتحول جوهر مبدأ الصمود والمقاومة للتحدي والتهديد الاستعماري الصهيوني في تفكير العرب وفي نفوسهم على اختلاف نظم حكمهم

السياسية والمقبلة ، لما في التخلي عن هذا المبدأ من اضعاف داخلي وخسارة دولية خارجية لهيبة العرب وكرامتهم عند الصديق وعند الخصم .

واذا تفاوتت عند العرب وجهات النظر والآراء في الأساليب والطرق الموصلة الى مبدأ الصمود والمجابهة فينبغي أن لاتؤدي أبداً الى التناقض في العمل أو الى التردد والتراخي وترك التعلق بفحوى هذا المبدأ .

ومن المنطق رفض الاذعان والانصياع لحل النزاع لصالح الخصم الصهيوني .
ومن الحكمة نبذ تقبل فرض الحلول المبهرجة الظاهر والتي يحاول العدو أن يجعلها تنطلي على قادة العرب بوسائل الضغط والاكراه وباساليب الاقناع القسري وتحت وطأة التهديد بالقوة والسلاح والأمر الواقع .

ان تغيير هذا الموقف العربي العام الصحيح ، لايمكن ان يتم إلا بتواطؤ كامل لجميع انظمة الحكم في البلاد العربية .

واذا ما نجحت تسوية ما ، تقر بالوجود الصهيوني وتنتقص من الحق الشرعي العربي فان ذلك يعني تواطؤ وتآمر كل انظمة الحكم العربية على قضيتنا . ويكفي ان يتمرد نظام حكم عربي واحد ويأبى ، لكي تفشل جميع التسويات السرية .

واذا ما عجزت أية دولة عربية عن العنف العسكري المسلح المطلوب ، فلا تعجز ابداً اذا كانت صادقة مخلصة عن العنف النفسي الاعلامي ولا عن الصراحة السافرة لكشف المتخاذلين أو المتواطئين أمام الرأي العام العربي .

وان مثل هذا السلوك الاعلامي الواضح الصريح من أية دولة عربية كاف وحده لكف وردع الضالعين في تيارات التسوية المذلة المهينة للكرامة والشرف العربي .

وينبغي ان يترسخ في ذهن الانسان العربي ان الخلاف بين العرب واسرائيل ليس نزاعاً سياسياً طارئاً ولايشبهه أي نزاع بين شعبين متجاورين أو متباعدين على سطح الكرة الأرضية .

وليس مرد الصراع بينها الاختلاف على رقعة أرض يمكن ان تكون عرضة للتحكيم أو تقبل التسوية والمصالحة والمهادنة حسب مبادىء الأمم المتحدة أو وفق أعراف القانون الدولي ، بين دول تعترف ببعضها وبين حكومات متماثلة ومتساوية في العرف الدولي لفض النزاع بينها ، أو بين أمم موجودة جغرافياً وتاريخياً وعنصرياً على الأقل .

فالنزاع بين العرب واسرائيل لايدخل في اطار من اطارات النزاع بين الدول والشعوب ، اذ ان العرب لايقرون ابداً بوجود اسرائيل كواقع دولي ولايعترفون بكيانها جغرافياً لانها قد اندثرت تاريخياً منذ آلاف السنين .

فلا اصطناع دولة للصهيونية تحت وطأة الظروف الدولية والاحوال العالمية كاف في نظر العرب لتخليهم عن اراضيهم وسيادتهم في بلادهم ، وليس لاسرائيل مقومات البيئة الجغرافية ولا الأسانيد التاريخية المقبولة مهما لفقت وزورت ، ولا المرتكزات القومية الأصلية ، مهما ادعت وصرخت ، لتكوّن دولة وشعباً على ارض اغتصبتها من العرب .

فهي خليط متنافر لا اصالة لشعبها الذي ذاب واندثر وتقوقع بعضه في متاهات الاقطار وباد وتفرق في زاوية نسيان الشعوب .

واسرائيل جسم اجنبي على ارض لاتملكها وعلى رقعة جغرافية تتشبث بها موقتاً ، فقد حشر الاستعمار والصهيونية هذا الخليط العجيب وجمعوه على عجل وساقوه كرهاً الى وطن غير وطنه وأرغموه على تشكيل شعب ودولة لم يؤمن ولن يؤمن بها أبداً .

ان القوى السياسية العالمية تحاول بمنطق القوة وسياسة الأمر الواقع فرض هـذا الخليط المتنافر من الناس على البشر قاطبة كأمر واقع ، وتجتهد في تقديمه الى المجتمع الدولي على أنه شعب قائم لايدحض بقاؤه وتجد في استصناع المبررات التاريخية لمرتكزات وجوده الدخيل وتسعى لتزويده برابطة المجال الجغرافي المقتطع من ارض العرب لاثبات كيانه السياسي المزيف .

ان قناعتنا هي المعوّل عليه في هـــذا الخصوص ولا تهمنا كثيراً قناعة الآخرين مادام الأمر يتعلق بنا ويعنينا دون غيرنا .

ليست القضية بين العرب واليهود سوء تفاهم يمكن إزالته بالمحـــادثات والمناقشات والمناظرات ، اذ ان وجود اسرائيل العدواني المهدد على ارض العرب لايقبل في نظرهم مساعي الوساطة وروح التسويات السلمية او نظرية التعايش السلمي التي قد يمكن أن تسري في بقية أرجاء العالم بين شعوب متماثلة متشابهة لها كيانها السياسي ولها وجودها التاريخي والجغرافي العضوي والمعترف به من اخصامها على ارض معينة .

ان الرفض وشدة التعنُّت في الرفض من جانب العرب والتصلب في السلبية وإباء الأستجابة لسياسة الاستدراج والتغرير والتهديد والتهويل التي يتبعها العدو واشياعه مهما بدا من مظاهرها العنيفة الرادعة الزاجرة ، هو السبيل الوحيد والمخرج المنجي للعرب ، في ردهم على سياسة الأمر الواقع التي يحـــاول دهاقنة المجتمع الدولي املاءها عليهم وفرض اذعانهم لمقتضياتها .

وما دامت القوة في العرف الدولي ، والعنف والقسر السياسي هي سبيل تثبيت الأنظمة السياسية دوليـــاً وطريق اضفاء الصفة المشروعة لها والاقرار بوجودها وليس قناعات النـــاس وتأييدهم وولاءهم الاعزل لها ، فان الصمود

للتحدي هو فاتحة الاستحواذ على القوة وقاعدة لتجميعها وترسيخها والاستزادة منها.

ان العرب في عدائهم للصهيونية يفرقون بين اليهود كأفراد لهم حقهم في الحياة وبين عنصرية الصهيونية في تكوين وخلق دولة اسرائيل المصطنعة على أرض عربية بالقوة والقسر وامتداداً لمطامع استعمارية سياسية واقتصادية وجعلها أداة من ادوات الحرب الباردة في الشرق الاوسط .

ان العرب لايعادون الدين اليهودي ولا ينازعون اليهود طائفياً أو دينياً غير أنهم يتنكرون للعقليـــة السياسية الصهيونية في بسط سيطرتها على العرب ويناوئون ارتباطها العضوي بالاستعمار العالمي ويقاومون نزعة العقيدة اليهودية الاسرائيلية كمظهر من مظاهر العنصرية والعرقية وكأداة من ادوات التميز بين البشر والاستعلاء عليهم ، ويحاربون ويجابهون فكرة اليهود السياسية في اغتصاب الارض العربية كنتيجة لهذه العنصرية اليهودية .

وليس لليهود أن يتظلموا او يشكوا من حيف لحق بهم من العرب طيلة عشرات القرون أقاموا فيها على اراض عربية متعددة ، بالرغم من الاساءات والاذى الكبير الذي كان يلحقه هؤلاء اليهود بالعرب انفسهم في الاوقات الحرجة من التاريخ العربي القديم والحديث .

ان منطلق القوة بالنسبة للعرب هو تجمع طاقاتهم ودمجها في تكتل سياسي عسكري عقائدي أو في تحالف .

العامل المعنوي :

ان التماسك العربي والاعداد النفسي يتأثران بالعامل المعنوي الحالي والمقبل.

ان فعالية العامل النفسي والمعنوي في الخلف العربي تستمد بواعثهـــا

ودوافعها الأصيلة من المفاهيم السياسية والاخلاقية والفكرية ومن المثل الاجتماعية والقيم والتقاليد التاريخية ومن الاوضاع الجغرافية العربية عامة .

واستناداً الى ذلك ، يتـــأثر العامل المعنوي العام بالاوضاع السياسية والاحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية ومستوى الفكر والثقافة ، وبنوعية انظمة الحكم السائدة وبالانتصارات والهزائم العارضة وبوسائل واساليب الاعلام .

كما يتأثر العامل المعنوي والروحية العامة في القوات المسلحة العربية بالحالة السائدة في الأمة وبنوعية التسليح والتنظيم العسكري والقيادة ، وبظروف الصراع مع اسرائيل واعوانها ، وبمضمونه ونتائجه .

لذا ينبغي ان يؤخذ في المقام الأول ويعتبر في الحسبان ومن العناصر الأساسية الحاسمة في حساب ميزان القوى وتقدير التفوق عند التخطيط السياسي والستراتيجي للحلف العربي .

ولهذا فان القيادات السياسية العربية في الحلف على قدر خبرتها وكفاءتها واخلاصها تستطيع ان تخلق وتكوّن وتقوي العامل المعنوي في نفوس الجماهير العربية بما تهيؤه من شروط فكرية ونفسية ملائمة للصمود وبما تحققه من ظروف اجتماعية وسياسية سليمة وصحيحة ،وبما تقوم به من تصرفات داخلية وسلوك خارجي يتجاوب ونفسية الجماهير العربية وبما تنجزه من تدابير دعم التضامن الداخلي واجراءات التفاوت العربي الفعال العملي .

ان نظام الحكم العربي الأصيل هو الذي يذكي في النفوس فكرة الصمود، فيرفع المعنويات العربية ويوجهها لخوض الصراع المسلح بفكرة قوية وبايمان ثابت وبعقيدة صحيحة وبتنظيم داخلي وعربي تنخرط فيه كل الفعاليات العربية مجهزة بالعدة والسلاح والخطة والتصميم للمجابهة المسلحة مع العدو الصهيوني .

ان العامل المعنوي السياسي العام في القيادة السياسية العربية يؤثر على طبيعة الأفكار الستراتيجية وبالأخص على طرق تنفيذها . كما ان التخطيط السياسي والتخطيط الستراتيجي يتأثران الى حد بعيد بالروح المعنوية السائدة في الأمة وعلى الأخص في قواتها المسلحة .

تؤثر المعنويات في طريقـــة خوض الصراع المسلح وفي صياغة اساليبه واشكاله وادواته وفي كيفية تنظيم القوات المسلحة وانشائها ونوعيتها .

ومن هنا تبدو أهمية المحافظة على المواقف العربية السليمة وتدعيمها الجماهيري في نفوس العرب والاحتفاظ بردود الفعل الطبيعية المنظمة للافعال المنعكسة النفسية والسلوكية عند العرب ، ازاء الاحداث ، وعـــدم تشوهها واضمحلالها وانطفائها او انفجارها قبل اوانها .

وتلك مسؤوليات انظمة الحكم العربية واجهزة الاعلام فيها .

ويتوقف ذلك على نوعية سلوكها الداخلي والخارجي في هذا المجال .

ان مساهمة الجماهير العربية في عملية البناء النفسي والعضوي للقوة العربية ، في سبيل الصمود والمجابهة والاسترداد ، تتطلب الايجابية المتبادلة بين الجماهير وانظمة الحكم المتجرد في تقبل النصح والنقد والاستعداد لفهم المشورة المخلصة والعمل بها والسير فيها من جانب ، وتستلزم التضحية والاقدام من الجانب الآخر ، وان كانت انظمة الحكم العربية جميعاً تعبر وتعرب دوماً عن تقبله بدرجات متفاوتة من الصراحة والاستعداد لتحمل ذلك .

على ان النقد المجرد ان كان عاماً يظل اسهل واخف على النفوس والقلوب واكثر احتمالاً منه ان كان خاصاً .

ان اخطر ما يؤثر في المعنويات العربية العامة هو حساسية انظمة الحكم العربية الشديدة والمفرطة ازاء الرأي والمقترحات التي قد تلائم هواها وسياساتها.

وهذا من المنطلقات الصعبة العسيرة في عملية البناء النفسية والمعنوية للعرب.

ان مس هذه الحساسيات احياناً وعن غير قصد ـ بالتلميح او التصريح وبرفق . قد يؤدي الى اثارة شديدة جامحة عمياء تنقلب الى عملية تفتيت عربية داخلية وعملية انشقاق عربية خطيرة .

ان ارتفاع أفق أنظمة الحكم العربي الى مستوى المسؤوليات التاريخية والانسانية في حياة الأمة العربية في هذا الوقت ، وارتقاء نظر هذه الانظمة الى مستوى الوجدان العربي الأصيل والضمير الانساني الحي والى درجة الوعي المخلص ، له الأثر المباشر الفوري على الرأي العام العربي وعلى المعنويات العربية لتخطيط معركة المصير .

ان نقطة الالتقاء عند العرب جميعاً وشعارهم الذي لاينبغي الجدال والنقاش حوله وان الراية التي يجب ان يرفعوها عالية هي :

ان لالقاء مع العـــدو الصهيوني ولا وفاق مع من يظاهره . ولا تغيير ولا تبديل لهذه المواقف مهما تبدلت انظمة الحكم ومهما تبدلت اساليب الحكم .

وان واجب الحكومات العربية تحريك وتوعية الجماهير واعطاءها الأمل بالنصر وابعاد اليأس عن النفوس واعطاء الجماهير امكانية العمل المجدية الفعلية واشعارها بجدية وصدق الصمود والمجابهة للعدو واقناعها بالسلوكية اليومية المعبرة عن روح الصمود والكفاح .

ان يقين الجماهير العربية واعتناقها الصميمي لمبدأ الصمود والمجابهة يتبع عن تلازم النية المخلصة في العمل وتنفيذه فعلاً من قبل الحكومات العربية .

القواعد والأسس والمبادىء العامة لصوغ النظرية الستراتيجية للحلف العربي:

– مبدأ الوحدة في قيادة الصراع المسلح من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية وتوحيد الجهود والفعاليات العربية كافة بفكرة استراتيجية واحدة وهو مايعبر عنه بمبدأ « وحدة الحرب » التي تتطلب وحدة الهدف السياسي للصراع المسلح .

وان الحرب الشاملة مع الصهيونية والاستعمار تتطلب سياسة عربية كلية شاملة لاتفرق بين حالة الحرب وفترة الهدنة واتفاقات ايقاف وقف اطلاق النار التي هي في جوهرها امتداد واستمرار للحرب بوسائل اخرى عقائدية ونفسية واقتصادية وفكرية وفدائية .

– مبدأ المركزية في الادارة السياسية والعسكرية لخوض الحرب الكلية الشاملة بغاية الاستهداف والحسمية .

– مبدأ الرد على سلوك الخصم المتطرف بتصرفات عربية اكثر عنفاً وشدة والاستمرار في الكفاح مها كانت التضحيات .

– مبدأ تنافي السلوك الاستسلامي وارادة المقاومة والصمود ، فلا يمكن الجمع والتوفيق بين تقبل الضغط والاكراه الخارجي وارتضاء المساومة والتنازلات والتسويات ومبدأ الإباء والرفض للتهديد والسير الى اقصى النهايات تطرفاً ، إذ ان فكرة المسالمة من جانب العرب من شأنها حض اسرائيل على زيادة عدوانها ولا

تفسر المحافل الدولية موقف العرب وحسب المنطق السياسي في العلاقات الدولية إلا بالضعف والخور .

ـ مبدأ مجابهة الاستعمار واسرائيل سوية اذا اقتضى الأمر وعدم التهيب من ردود الفعل المحتملة وان لايسقط في ايديهم ، وحتمية تدخل اعوان اسرائيل في الصراع المسلح المقبل كتدخلهم في المعركة السياسية والاقتصادية والنفسية ضد العرب ، وتوسّع النزاع فورياً وآنياً وشموله كل البلاد العربية بآن واحد لمجرد حادث بسيط ودون تمهيد سابق وتحول ذلك الى حرب محدودة دوليـــة مـع مايترتب على ذلك من ذيول وملابسات دولية .

ـ مبدأ امكانية تصعيد الحرب مع الصهيونية الى اقصى درجات العنف دون حاجة لتعبئة المواطنين بسبب سرعة اندلاع الحرب معها .

ولهذا فسرعة وسائل اعلان حالة الانذار والتأهب لها مع فعالية التعبئة الفورية والجاهزية المستمرة واستعداد القوات المسلحة العربية للرد الفوري المخطط وفق اهداف الخطة الستراتيجية من الأمور التي ينبغي ان تصبح مألوفة وعادية في كل الأوقات . ان الترقبية المتحفزة للإنقضاض هي الحالة الطبيعية للموقف العربي .

ـ ان العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعنوية ونسبة القوى وتوازنها اساس في صوغ النظرية الستراتيجية للحلف ، وللظروف السياسية والاقتصادية والعقائدية اثر بالغ على طابع وهدف العمليات الستراتيجية .

ـ ان جوهر الستراتيجية العسكرية للحلف العربي ومضمونها الاساسي سياسي بحد ذاته ، وان كان ظاهرها عسكرياً، حيث ان الهدف الرئيسي للستراتيجية هو بلوغ اهداف سياسية .

– مبدأ تلازم النظرية الستراتيجية للحلف وارتباطها العضوي بالتطبيق العملي الفعلي في عمليات جريئة ضد العدو وليس بتخطيط نظري في قاعات مغلقة، وتلازم الدفاع والردع للخصم مع الزامية العمل العسكري في الزمان والمكان المناسبين.

– مبدأ الموضوعية في تناسب الوسائل السياسية المستخدمة والسلوك الديبلوماسي مع الامكانيات العسكرية والتضافر الكامل بين طرق واساليب الديبلوماسية ووسائل العمل الستراتيجية.

– الأثر الكبير للتكنيك الحديث والاسلحة واتقان استخدامها في التفوق على الخصم وفي خوض الحرب والانتصار فيها وتغير الستراتيجية كلما تقدمت المنجزات التكنيكية المتعلقة بالتسليح. ولا يمكن كسب الحرب باحد انواع القوات المسلحة وحدها كالطيران مثلاً.

– الأثر الحاسم للكتل البشرية الكشفة والمنظمة شعبياً والمسلحة لكفاح طويل الأمد بالارتباط والتنسيق والانسجام مع القوات المسلحة النظامية بفكرة واحدة للدفاع الوطني في كل عمق البلاد العربية.

– أثر انظمة الحكم والقيادات السياسية عند العرب وعند خصمهم في الاعداد للحرب وفي مصيرها.

– الأثر الحاسم للمعنويات العامة في الصراع.

– واخيراً غرس مفهوم الكفاح المخطط والجهاد المنظم وترسيخ فكرة الاستشهاد المجدي والاستماتة الحيوية في منظمات المبايعين على الموت بقسمهم وشعارهم وهدفهم الذي ينبغي أن يكون طريق الحياة لكل مواطن عربي.

أسس التصميم الفكري :

انطلاقاً من الاعتبارات الراهنة لمرحلة تاريخية معينة وتبعاً لتوازن القوى المحلية والعالمية ، تحدد القيادة السياسية العقائدية العربيـــة الاهداف الحضارية والسياسية بعد معرفة العدو الاستعماري وامكانياته مع تعيين الخصم الصهيوني الاسرائيلي واحتمالاته وما يمكن ان يظهر في المجال الدولي من الخصوم والاصدقاء وما يبدو من الافكار والنزعات المظاهرة المشايعة والاتجاهات المعارضة المناوئة للعرب ، وتحديد ردود الفعل ازاءها سواء كانت صراعاً عقائدياً اجتماعياً أو تصديا سياسياً او مجابهة عسكرية سافرة أو صداً لنزعات فكرية مجردة تضعف أو تقوي الفكرية الاساسية المتخذة او الهدف السياسي الحضاري أو المثل والقيم الانسانية المستهدفة .

وبهذا الاعتبار فان الاهداف العربية في صراعها مع الاستعمار وفي نزاعها مع الصهيونية واسرائيل هي :

الهدف الحضاري ــ الاجتماعي : اثبات الوجود العربي وبقائه الحضاري ازاء الكيان الاسرائيلي وهو صراع مصير وتنازع بقاء .

الهدف السياسي ــ الخارجي : فرض الوجود الحضاري العربي ونقض الكيان الاسرائيلي في المحافل الدولية .

الهدف السياسي الستراتيجي لمرحلة تاريخيـــة معينة : ايقاف الغزو الاستعماري وصد العدوان الصهيوني عن البلاد العربية .

الهدف الستراتيجي العسكري لطور من اطوار النزاع : فـــلّ القوة المسلحة الاسرائيلية وكسر شوكتها وتحطيم مرتكزاتها النفسية وتصفية العقلية

العسكرية العدوانية من رؤوس مترعميها ، من العصابة السياسية ــ العسكرية الاسرائيلية المتسلطة على اليهود .

ان السلوك الديبلوماسي ــ الستراتيجي هو قرار يتعلق بالدوافع النفسية الاجتماعية للعرب ويرتبط بالملابسات وبالنزعات والاهداف وامكان تحقيقها .

ان هذه الملابسات تتشكل من نسبة القوى المتصارعة المشايعة والمناوئة والحيادية على المسرح المحلي والعالمي واحتمالات تطورها على مجال تاريخي، وتتكون ايضـــاً من مفهوم النظام السياسي السائد عند العرب وعقليته وعقيدته ومبادئه والفكرة التي يتخيلها ويتمثلها عن العالم .

فلا قيمة للتصميم الفكري إلا بانتقاء النظام السياسي المناسب اذ انه المنفّذ والمطبق للفكرة المتخذة والمتابع للهدف والممثل الآني لنموذج او منطقة حضارية معينة ازاء التحدي المصيري الذي يواجهه .

ان النظم السياسية العربية الآتية والمقبلة ، ومقدار فعاليتها وحيويتها ووعيها المخلص وارتفاع افقها الى مستوى التحدي العالمي الذي تجابهه ، ومقدار سمو الضمير الحي الانساني في نفوس حكامها ومستوى وجدانهم العربي الأصيل ، من العوامل التي تؤثر الى حد بعيد في كيفية المجابهة والصمود وفي طريقة التجمع القومي العربي لتشكيل كتلة سياسية عقائدية تاريخية متماثلة تؤثر تأثيراً جذرياً على التوازن العالمي ومستقبل العالم .

ان التطبيق العملي لمضمون ومستلزمات تخطيط السياسة الستراتيجية العربية في مجال الستراتيجية العسكرية العامة يعود بشكل خاص الى نوعية وفعالية القيادة السياسية في كل دولة عربية ، ويرجع الى مرونتها السياسية الداخلية والخارجية ، ويتوقف الى حد بعيد على كفاءة قيادتها العسكرية ويقظتها وخبرتها

وإقدامها ، ويتعلق بدرجة إعداد واستعداد قواتها المسلحة وتنظيمها وتسليحها وتدريبها و كفاءتها الميدانية والستراتيجية لخوض الحرب عند تخطيط وتصميم السياسة الستراتيجية للعرب ازاء اسرائيل والاستعمار بين الأوضاع والحالات المصيرية التاريخية ومختلف الاحتمالات وعلى الأخص درجة الحالات الحاسمة المصيرية المؤثرة في الكيان العربي وملابساتها الدولية ، ومقدار تحملها النفسي ومختلف أساليب مجابهتها.

ولهذا تتخذ شتى المواقف الستراتيجية الملائمة والمناسبة لهـــذه الاوضاع المصيرية مع تحضير واعداد تنفيذها فعلياً بصورة خاصة ، وذكر حجم الوسائل المطلوبة او المتوفرة ودرجة المجازفة المقبولة ومقدار التحدي المسموح به من الطرفين.

تهيأ مختلف التدابير المتناسبة مع الخطر المحتمل للصمود والمواجهة ابتداء من التدابير الديبلوماسية والسياسية والاعلامية والاقتصادية الى أقصى أعمال العنف العسكرية والمصيرية .

يتم في تخطيط وتصميم السياسة والستراتيجية العربية ازاء الاستعمار والصهيونية بالهدف السياسي للحرب الذي يحدد طابعها وطابع الاهداف الستراتيجية المتعاقبة. ان هذا الهدف كما هو معلوم ومتفق عليه عند العرب ازالة كيان دولة اسرائيل خلال مرحلة زمنية معلومة .

تنظيم الانسان العربي :

ان المرتكز الاساسي واداة الصمود والمجابهة هو في الدرجة الاولى الانسان العربي بمقوماته المتعددة ، اذ انه قاعدة الصراع ومادة الحرب وهدف النزاع.

وان تنظيم الانسان العربي العقائدي وتصميم وترسيخ روح المقاومـــة وارادة الصمود فيه في اطاره الحضاري الأصيل وحول فكرة المجابهة والقتال ، وتنظيمه في جملة جماعية تاريخية واعية مدربة متيقظة للتحدي ، ودمجه في كتلة بشرية كثيفة عالية المعنويات مستعدة متأهبة للاستشهاد الواعي في سبيل بقاء مصيري ،

لا للانزجاج في حماس انفعالي في مجزرة عمياء هوجاء ينجرف اليها انجرافاً ويجره اليها عدوه جراً واستدراجاً حيث تهدر فيها الطاقات العربية وتمرغ الكرامة الوطنية القومية ، ان هذا التنظيم الصحيح من شأنه ان يعوض كثيراً عن النقص التكنيكي اذا ماظهرت مفاجآته في المستقبل عند العدو .

اذ يستطيع بقوة تنظيمه الفكري والنفسي والاجتماعي ان يتخطى العوائق الطارئة التي قد تبدو أمامه من جراء ظهور اشكال جديدة للصراع المسلح او بسبب ابتداع أدوات او آلات مستحدثة للدمار لم يألفها او لظهور انواع من الحروب والعمليات لم يعرفها كالحرب الصاروخيـــة البعيدة التراشق ، والحرب الكيماوية والجرثومية والذرية ، فلا تؤثر في رُوحه ونفسه أعتى اساليب الافعال واقسى انواع الاسلحة الفتاكة مهما بلغ من فعاليتها وقوة تدميرها .

ويستطيع الانسان العربي الحسن التنظيم الحضاري بمعناه الواسع ان يتكيف بسهولة وسط المعركة مـــع طبيعتها الجديدة ، ويتسنى له بمقوماته النفسية والفكرية العالية وباصالته الانسانية ان يتفوق بفعاليتـــه ويمنطق اثبات وجوده وبكيانه وبقائه على نية خصمه في إضعافه واستنزاف قواه وفي إبادته آخر الأمر .

والخلاصة فانه يتوقف تخطيط فكرة الصمود والمجابهة العربية على الموضوعية ومعرفة الواقع في كل مايتعلق بالمسائل الآتية :

١) وسائل الاستعلام عن الاستعمار والصهيونيـــة واسرائيل واهدافهما ووسائلهما وخططهما والانباء عنها بصورة مستمرة دائمة .

٢) نوعية انظمة الحكم العربية والقيادات السياسية الموجهة والمسيطرة في كل قطر ، كما يتعلق ذلك بالتيارات السياسية السائدة فيها ودوافعها الاجتماعية والعقائدية واتجاهاتها الفكرية ، وطبيعة المجتمع العربي وتركيبه بصورة عامة وعلى الأخص بيئته النفســة والفكرية .

٣) طبيعة وجوهر العقيدة السياسية الاجتماعية العربية اللازمة للصمود والمجابهة وملاءمتها لطبيعة الشعب العربي ومقـــدار ماتستوحيه من المثل والقيم العربية الأصيلة .

ومن الضرورة بمكان عظيم تعريف هذه المثل والقيم الحضارية والأخلاقية وبيانها بوضوح والاتفاق عليها في أذهان القيادات السياسية والجماهير والأفراد .

٤) الطاقات العربية عامة والإمكانيات الاقتصادية وتطويرها .

٥) الميزان الديبلوماسي – الستراتيجي العالمي .

ان وحدة التفكير العربي ازاء الخطر الاستعماري الصهيوني هو المنطلق العقائدي الأول لكل العرب . وان ارادة الصمود والقرار الحازم والمشيئة الحازمة للمجابهة والالتزام الطوعي الواعي لذلك هو الاجماع النفسي الصحيح والمطلوب من كل أنظمة الحكم العربية .

مضمون وجوهر الستراتيجية السياسية العربية :

تهدف هذه الستراتيجية :

١) الى ملاقاة الوجود العربي بكامله للتدخل الاستعماري الداعم لكيان اسرائيل ، ولهذه الغاية فإن الستراتيجية العربية تعتمد على تشكيل القوة العربية الجامعة المؤتلفة والمتحالفة وإقامة نظام دفاع عن المصير العربي التاريخي الحضاري الانساني ، وجمع القوة العربية الظاهرة والكامنـــة وحشد الطاقات السياسية والاقتصادية العربية والعسكرية العامة ، واستخدام جميع الإمكانات العربية المختلفة في جهد موحد الغرض والغاية ازاء حتمية الصراع المسلح مع الاستعمار والصهيونية في كل وقت ، واتخاذ الأهبة والاستعداد لذلك في كل الظروف ، مع

تنسيق القيادة السياسية – الستراتيجية او توحيدها مع الزمن .

٢) رد العدوان الفكري والروحي والنفسي والعقائدي الصهيوني وصد التحدي والعدوان العسكري الاستعماري والدفاع عن القيم والمثل القومية والفكرية والتاريخية والعقائدية العربية والحضارية .

الوسائل :

– الوسائل السياسية والأساليب الدبلوماسية .

– الوسائل الاعلامية .

– الوسائل الاقتصادية .

– الوسائل النفسية على النطاق المحلي وفي المجال الدولي وفي العالم الثالث .

– الوسائل العسكرية والقوة المسلحة .

عناصر القوة :

١) المجال الجغرافي والرقعة الأرضية الواسعة ومكانتها العالمية .

٢) الطاقة البشرية الكبيرة والانسجام الوطني والروح القومية .

٣) ضمانة الموارد الاقتصادية .

٤) توفر القوة العسكرية الكبيرة مع مستلزماتها .

٥) المعنويات العالية والروح القومية في الأوقات الخطيرة والمصيرية .

الهدف السياسي – الستراتيجي :

تغيير التوازن المحلي كلياً والتأثير في التوازن العالمي واحداث الخلل فيه لصالح العرب .

انطلاقاً من جميع الطاقات العربية وتنظيمها وتنسيقها ، وتشكيل وحدات سياسية عسكرية عربية قوية البنية تنظم في تشكيل سياسي متحد او

موحد منسجم ومؤتلف ، يؤثر بطاقته البشرية المنظمة وحيوية سكانه وبفعاليتهم وبسمو قيمهم ومثلهم الحضارية الانسانية ، وبسعة وتمادي مجالهم الجغرافي وغنى مواردهم الاقتصادية ، على المراكز الحيوية العالمية في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري والاستراتيجي عامة .

ان الحقل اللازم للحيطة ، والمجال الحيوي الأمن والسلامة العربية وحدودها ونطاقها يحيط بالمجال الارضي والبحري والجوي للدول العربية كافة .

فكل تجاوز او تحد لهذا المجال هو عدوان عليها جميعاً ،

ان الوجود الاسرائيلي في ارض فلسطين العربية هو عدوان مستمر على الدول العربية جميعها .

أسس تخطيط السياسة الستراتيجية للحلف العربي:

ينبغي ان يكون اسلوب تخطيط السياسة الستراتيجية العربية واضح المعالم لا تحده وتقيده الاتفاقات السياسية والاقتصادية المؤقتة ولا تشل فعاليته الاتفاقات العسكرية الثنائية او مواثيق الدفاع المشترك العامة السائدة بين الدول العربية او يصبح اطاراً انشائياً ادبياً جامداً وأداة غامضة للتأويل والتفسير والمطاولة والمماطلة والتهرب والسلبية اكثر من أن يكون وسيلة عمل وخطاً ونهجاً عاماً للعمل المشترك العربي الفعال المجدي .

وان مايميز السلوك السياسي والموقف الستراتيجي لكل دولة عربية أمام الرأي العام العربي هو الرغبة الصادقة والنية الصحيحة والايجابية المخلصة البعيدة عن التظاهر والدعائية ، والعزم والتصميم وإرادة القتال ضد الاستعمار والصهيونية المتجسدة في اتخاذ الاجراءات العملية المؤكدة لهذه النية والارادة سواء في المجال الداخلي والخارجي او في النطاق الاقتصادي والعسكري والنفسي .

ان علاقات الثقة المتبادلة والاطمئنان بين انظمة الحكم العربية في هذه الظروف، وتوسم الخير في الاخوة العربية، من المنطلقات النفسية الاساسية لتمتين وترسيخ اواصر الحلف في العمل ضد اسرائيل والصهيونية ومشايعيها.

وان الدولة العربية المخلصة لأماني شعبها والشعوب العربية والحريصة على كرامة العرب هي التي يمثلها ساسة وقادة في مجالس هذا الحلف يستلهمون روح الميثاق وجوهره واصالة التاريخ العربي وحضارة العرب.

هذا وان تخطيط السياسة الستراتيجية للحلف ينبثق أصـــلاً من روح المقاومة للعدوان على البلاد العربية.

القيمة المحلية والعالمية للتحالف العربي:

ان القيمة الستراتيجية للتحالف العربي في المجال المحلي وعلى النطاق العالمي، لا تقدر وتحسب بعدد القوات العسكرية التي يتشكل التحالف فحسب، بل يؤخذ بعين الاعتبار الامكانات المختلفة والطاقة الجامعة المتعددة للدول العربية الداخلة في هذا الحلف والتي ستدخل او التي تساهم في المجهود العام، بالاضافة الى اهميـــة الرقعة الارضية ومكانتها واتساعها الجغرافي. اذ ان جميع طرق المواصلات البحرية والجوية بين اوربا وافريقيا وآسيا تقع بالقرب من هذه المنطقة العربية عدا عن قوة الجذب العالمية لهذه الكتلة العربية من الوجهة الروحية والسياسية والتاريخية في افريقيا وآسيا خاصة.

مستلزمات السياسة الستراتيجية العربية:

ان مقتضيات هذه الستراتيجية تتحكم وتهيمن حالاً ومستقبلاً، على السياسة الداخلية والخارجية لدول الحلف العربي، وتفرض نفسها في المجال السياسي والاقتصادي والعلمي والعسكري لبلوغ الهدف التاريخي الحضاري.

تخطيط السلوك الخارجي للدول العربية :

ان تلازم ووحدة التنسيق الستراتيجي العام للدول العربية يستلزم وحدة السلوك الخارجي للدول العربية وتجاوبه مع مقتضيات الستراتيجية العسكرية الصحيحة لأنه الاساس والمرتكز المنطقي لكل تدابيرهم المقبلة .

وان انسجام السلوك السياسي الخارجي مع التدابير والاجراءات العملية العسكرية ،هو الذي يؤيد وجهة النظر العربية في المحافل الدولية ، ويعطي للعمل العربي قيمته الدولية وجديته وجدواه في نظر الأسرة الدولية .

ان التصرف السياسي الخارجي العربي المداهن والمتخاذل ، والمنطق الاعلامي الداخلي المتشدد، والموقف الستراتيجي العسكري العام الضعيف ، يفقد العرب قضيتهم وهيبتهم ويؤدي بهم ويشجع اخصامهم ويبعد عنهم الاصدقاء لقناعتهم بعدم جديتهم وتخاذلهم وخورهم في الدفاع عن قضاياهم المصيرية .

ومن الخطأ والخلل في الفكر والمنطق عند العرب التردد لحظة واحدة في القناعة بفكرة المجابهة العنيفة لاسرائيل واعوانها ومشايعيها مهما كانت اسلحة العرب ضعيفة او استعداداتهم غير كاملة ، ومخادعة النفس وتمنيتها بأماني الحلول السياسية ،لأن ذلك يؤدي الى فقدان روح المقاومة وارادة القتال والصمود في القيادات السياسية وينعكس ذلك فوراً وآنياً على الستراتيجية العسكرية فتصبح تبعاً لذلك مترددة خائرة عاجزة فتسقط وتنهار عند أقل صدام .

ان الواقعية والمرونة السياسية تتمثل في السلوك الديبلوماسي-الستراتيجي العام، فتتكيف وتتلاءم حسب الظروف والاحوال دون ان يتغير الهدف الاساسي السياسي . وان الدهاء الديبلوماسي يتجسد عملياً في المحافظة على الهدف السياسي المصيري وليس التخلي عنه وتركه او التنازل عنه وقبول المساومة والمواطأة المشينة .

تصميم وتخطيط القاعدة الاقتصادية العربية للصراع :

ان تنمية موارد الحلف وتنسيق الامكانيات الاقتصادية ومساهمة كل عضو فيه بالنسبة لامكانياته العسكرية والبشرية ، من الأمور البديهية في التنظيم الاساسي المادي للصراع . ينبغي ان تهيمن موجبات السياسة العربية على الاقتصاد العربي، وان كانت الستراتيجية تخضع احياناً الاقتصاد أيضاً لمتطلباتها .

ولهذا فان الاقتصاد العربي يتطور ويخطط ضمن افكار السياسة وفي اطار الستراتيجية العسكرية المتخذة، وان كان للاقتصاد تأثير مباشر على طابع الافكار الستراتيجية المتخذة ، حيث ان للقوة الاقتصادية والصناعية والتكنيكية المنبثقة عنها الأثر الحاسم في الستراتيجية والتكنيك والتسليح وتنظيم القوات المسلحة .

وعلى هذا فان منحى تطور الاقتصاد العربي وطرق نموه وما يستتبع ذلك من تطوير وتحسين في الامكانيات الصناعية والتكنيكية الممكن استثمارها في الحرب يؤثر في الستراتيجية العسكرية العربية وخططها وفي طرق خوض الحرب برمتها .

ان امكان اقتناء العرب اسلحة مستحدثة او الحصول على تطبيقات الانجازات الجديدة في مجال التسليح يتوقف على طاقتهم الاقتصادية والمالية ، تلك الاسلحة الحديثة التي تؤثر الى حد بعيد في الستراتيجية العسكرية وفي الخطط الستراتيجية وفي المهات الميدانية وفي الأساليب التعبوية وفي تنظيم وانشاء القوات المسلحة جملة .

ان خطط التنمية الاقتصادية في دول الحلف تتأثر وتأخذ بعين الاعتبار المتطلبات الستراتيجية وتكون مرنة ومستعدة للانتقال من اقتصاد السلم الى اقتصاد الحرب تعد تعبئته منذ زمن السلم .

ان التوزيع الجغرافي الاقتصادي للموارد الزراعية والصناعية والبترولية بشكل خاص – والذي تخطط له وزارات الاقتصاد والتخطيط في الدول العربية – ينبغي ان يأخذ بعين الاعتبار نظرة الستراتيجية العسكرية وخططها في هذا المجال ويلائم بدقة ومرونة بين المقتضيات الاقتصادية والمستلزمات الستراتيجية .

ان المبدأ السليم هو التوازن بين خطط التنمية الاقتصادية العربية وتنسيقها مع مستلزمات الستراتيجية العسكرية لتعزيز الثورة الدفاعية في البلاد العربية مع تأمين المطالب المدنية .

ينبغي ان لا تتجاوز حدود الانفاق في الدول العربية في الاوقات العادية المعدلات العالمية المتعارف عليها عند الدول وهي ٣٪ او ١٠٪ على الاكثر من دخلها .

تجربتي الشعرية (١)

عبد الوهاب البياتي

•

[نحن الثوريين الذين نؤمن بخلود عمل البشر ومبادىء البشر — أول من يتعرفون على ما في حياة البشر الجسدية من قابلية للزوال ، وما في أفكارهم وسلوكهم ومثلهم من استمرار ، مادام المثال هو الذي ألهم وقاد الشعوب على مدى التاريخ] .

فيدل كاسترو

« عن موت ارنستو جيفارا »

•

[أتأسف على زمن كانت السماء تخطر وتتنفس على الارض بين أناس يعبدون الله ، وحينما كانت «فينوس — عشتروت» ابنة اللجة المريرة ، تنكف مدامع أمها ، وكانت لاتزال عذراء ، فتخصّب العالم وهي تجدل شعرها] .

الفرد دي موسيه

•

---

(١) هذا هو الفصل الثالث والاخير من دراسة واسعة عنوانها «تجربتي الشعرية» للشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي . وقد نشر الفصل الأول في العدد الخاص بالشعر العربي الحديث من مجلة « الآداب » صفحة ؛ العدد الثالث آذار (مارس) ١٩٦٦ .

أما الفصل الثاني فقد نشر في عدد حزيران (يونيو) الأخير من مجلة «دراسات عربية». ويسر « المعرفة » أن تنشر الفصل الثالث من هذه الدراسة التي ستظهر قريباً في كتاب .

الحرائق الشعرية التي اشتعلت في نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات ، ظلت مشتعلة - وما تزال حتى تحولت الى غابة من اللهب ، واذا كنت قدتوقفت في الفصل السابق ، عند بوابة مدينة « طيبة » شاعداً ومنفياً على أسوارها ، فما كان ذلك الا من قبيل العودة الى محيط الدائرة الملتهبة .

ولكن الزمن الذي نعود اليه ، ويأسف عليه « الفرد دي موسيه » كان عريقاً في القدم ، لأنه عندما بدأت فينوس (الزهرة) وكانت بعد عذراء ، فوق أمواج بحر الجـــة الزرقاء ، لم يكن ذلك اول ظهورها على الأرض ، بل كان عودة الى الظهور . فبكارتها الطاهرة كانت ادعاء ، واسمها لم يكن جديداً . فما كانت فينوس سوى عشتار الكلدانية ، بهجة البشر والآلهة ، التي أسكرت آسيا منذ قرون خلت [١] .

وقد جاءت (العودة الى الظهور) على شكل نبوءة سبق أن تنبأت بها عشتار نفسها في اسطورة « نزول عشتار الى العالم السفلي » حيث قالت النبوءة :

[فاذا اكلت « خبز الحياة » فاني اقوم من الموت ، واذا رشت علي « ماء الحياة » عادت الي الروح] .

أما نهاية « سمير أميس » فقد أحاط بها الغموض ، كما أحاط بنشأتها ، فقد اختفت فجأة من الوجود ، وفي اسطورة ، استحالت الى « حمامة » حتى أن الآشوريين أخذوا يقدسون هذا الطائر [٢] .

وفكرة العودة الى الظهور أو البعث في الادب العراقي القديم كانت تتم في الحياة . فالاموات ، وانلم يكن لهم في بلاد ما بين النهرين الشأن العظيم الذي

(١) غوستاف لوبون : حضارة بابل وآشور

(٢) غوستاف لوبون : حضارة بابل وآشور

كان لأموات وادي النيل ، كان لهم النفوذ ذاته في سلوك الأحياء ، لأن الكلدانيين والآشوريين كانوا يؤمنون بخلود الروح . فالروح في اعتقادهم تظل بعد دفن الجسد حائمة هائمة على وجه غامض (١) .

فالبعث في الحياة هي الفكرة التي كانت تهيمن على شعورهم ، ومنها انحدرت العادة الخاصة بالندب والبكاء على تموز اله الخضرة والربيع ، حيث اعتقدوا فيه « انه كان ينزل الى العالم السفلي في كل خريف ، ويعود الى الحياة مع بشائر الربيع » (٢) وهو نفس ما فعلته عشتار عندما نزلت الى العالم السفلي وعادت الى النور ثانية ، بعد أن قامت من الموت وعادت اليها الروح .

اما قدماء المصريين فقد كانوا يؤمنون بالبعث في العالم الاخر ، لذلك اهتموا كثيراً بتحنيط الموتى وبناء الاهرامات وجعل المقابر اشبه بالمدن التي تنتظر ان يعود اليها ما كنوها في العالم الآخر .

واعتقد ان مرد هذا الاعتقاد يعود الى جوهر العقيدة الدينية التي كانت مرتبطة ارتباطاً كلياً بالطبيعة ، والى محاولة التمرد على هذا الارتباط او الالتحام به .

أما فكرة الزمن فقد كان قــدماء العراقيين يؤمنون بوحدة الوجود والنهائي واللانهائي . فما نحن - كما كانوا يتخيلون - الا أشباح تظهر وتختفي وتعود الى الظهور والاختفاء على محيط دائرة هائلة مركزها اللانهاية .

ومن ثمّ فهناك عالم واحد وحياة واحدة ، ولكن القيامة وعودة الروح وقف على الآلهة فقط ، كما سنرى ذلك فيما بعد .

وعند موت الأحياء في هذا العالم الواحد ، تذهب روح الميت الى الجحيم

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة بابل وآشور

(٢) ملحمة جلجامش : ترجمة وتقديم الدكتور طه باقر

أو الجنة القائمة على الأرض في انتظار البعث . فالجنة إذن مكان الانتظار وليست المستقر الأخير .

والعالم السفلي : هو قدر الفقراء وبيتهم الذي يظل في انتظارهم ، حيث كتب عليهم أن يقيموا فيه بلا بعث أو نشور ؛ وهو الجحيم الذي نزلت اليه عشتار بحثاً عن تموز لانتزاعه من مرقد الأموات — لأن الآلهة لم يكتب عليها المكوث الأبدي هناك — في ذاك المرقد المختفي في أحشاء العالم الذي تحكمه آلهة الارض ، العالم الذي لا يعرف النور ، حيث يلبس الاموات ثياباً من ريش ويطيرون بأجنحة كالخفافيش ، ويأكلون الطين ويشربون الوحل :

المكان الذي ندخله ، فلا نخرج منه

الطريق الذي نسلكه ، حينا نذهب ولا نعود

المقر الذي ندخله ، فنجد بدل النور ظلاماً

المثوى الذي فيه نعض الارض ، ونأكل الاوحال

حيث لا نرى النهار ، وقد كتب علينا أن نبقى في الظلام

وكانت فكرة « الفردوس الالهي » سومرية المنشأ والأصل . وكانت موضع هذا الفردوس السومري بموجب الاسطورة في أرض « دلمون » وهي موضع يرجح انه كان يقع في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فــارس اي في الجنوب الشرقي من بلاد سومر (١) .

وفي «دلمون» نفسها كان البابليون ، وهم الساميون الذين غزوا السومريين وأخضعوهم ، قد عينوا موضع «أرض الأحياء» التي كان يعيش فيها الخالدون منهم

(١) ألواح سومر : صموئيل كريمر : ترجمة الدكتور طه باقر .

و « دلمون » بصفتها أرض الخلود التي لايوجد فيها مرض أوموت قد وصفت وصفاً غير مباشر في القصيدة السومرية التالية (التي نقتبس أبياتاً منها هنا) .

« في دلمون لاينعق الغراب الأسود ،

« ولا يصيح طير « اندو » ولا يصرخ

« ولا يفترس الأسد ،

« والذئب لايفترس الحمل

« ولم يعرفوا الكلب المتوحش الذي يفترس الجدي ،

« ولم يعرفوا ... الذي يفترس الغلة ،

« ولم توجد الأرملة ،

« والطير في الأعالي ... ،

« والحمامة لاتحني رأسها ،

« وما من أرمد يتشكى ويقول « عيني مريضة »

« ولا مصدوع يقول « في رأسي مرض الصداع »

« وعجوز — دلمون — لاتقول انا عجوز

« ولا يقول الشيخ « انا شيخ طاعن في السن »

« والعذراء لاتستحم . ولا يصب الماء الرائق في المدينة ،

« ومن عبر نهر — الموت — لايتفوه ويقول .. ،

« والكهنة النائحون لايحومون حوله ،

والمنشد لايُعول في الرثاء

«وفي طرف المدينة لاينوح آوينذب»[1]

والجنة القائمة على الأرض أو «دلمون» كانت وقفاً على الآلهة وحدها ولا نصيب للبشر الفاني فيها، ولكن انساناً واحداً فقط، استطاع - بحسب زعم مؤلفي الأساطير السومرية - ان يدخل الى ذلك الفردوس الالهي، وهذا الانسان هو البطل الاسطوري - جلجامش - الذي كان ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية - وهو بطل قصة «الطوفان».

فالفناء - اذن - كان نصيب الانسان الفاني، أما عودة الحضور أو البعث في الحياة فقد كان من نصيب الآلهة وأشباهها فقط:

الى أين تسعى ياجلجامش
ان الحياة التي تبغي لن تجد
اذ لما خلقت الآلهة البشر، قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة
أما أنت ياجلجامش فاجعل كرشك مملوءاً
وكن فرحاً مبتهجاً ليل نهار
واجعل ثيابك نظيفة زاهية
واغسل رأسك واستحم في الماء
ودلل الطفل الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين أحضانك
وهذا هو نصيب البشر

(١) ألواح سومر: صموئيل كريمر: ترجمة الدكتور طه باقر.

وجاء في موضع آخر من الملحمة :

ياصديقي ، من الذي يستطيع أن يرقى أسباب السماء
والآلهة وحدهم هم الذين يعيشون تحت الشمس الى الأبد
أما أبناء البشر فأيامهم معدودات
وكل ماعملوا هواء وعبث (١)

فاذا كانت حقيقة الموت البديهية تتكرر ليل نهار في حياة الانسان منذ أن وجد على هذه الأرض ؛ اذن ماوجه الجدة والأصالة في عرض مسألة الموت والحياة والبرهنة على حتمية الموت في ملحمة جلجامش ؟

الواقع ان هذه الظاهرة المتكررة المعادة ، رغم كونهـــا تبدو من البديهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي ، الا انها لاتزال لغزاً محيراً بالنسبة لأحاسيس الفرد ورغباته وغرائزه الحياتية ، تأخذ بلب الفرد ، وهي موضع حيرة في قرارة كل نفس بشرية . انها تمثل على عمقها صراع بين ارادة الانسان بتشبثها بالحياة وتلك الحقيقة البديهية بالنسبة للعقل والمنطق وهي تسمو على ذلك ، فهي تتناول مسألة أخلاقيــة كبرى شغلت عقل الانسان منذ أقدم العهود .

فاذا كان الموت محتماً واذا تعذر على الانسان نوال الحياة الخالدة سواء كان بالتغلب على الموت أو بوجود حياة أخرى بعد الموت ؟ فما ينبغي من الفرد أن يسلك في هذه الحياة ؟(٢)

---

(١) ان الذين كانوا يخاطبون جلجامش هنا ، انما كانوا يخاطبون أنفسهم ، فلقد فاتهم أو فات مؤلف الملحمة ان جلجامش كان من الآلهة وانه لن يموت .

(٢) ملحمة جلجامش : ترجمة وتقديم الدكتور طه باقر .

فالعودة الى الحياة التي خُص بها الآلهة من دون البشر ، كان تعني بالنسبة لهؤلاء البشر العدم الرهيب الذي لاصحوة بعده ، لذا أغرق هؤلاء البشر عدميتهم وهمومهم بالرقى والتعاويذ والصلوات والسحر . وكانوا ينامون متساندين متعانقين بعد الموت ، أي أنهم كانوا يدفنون في مقابر جماعية ، وربما كان سبب ذلك أن كلدة في نظرهم أرض مقدسة يدفن فيها كل أموات مابين النهرين ، بما فيهم أموات الشمال . أما الفقراء والصناع والعمال ، فانهم كانوا يرقدون رقدتهم الأخيرة تحت طبقة رقيقة من التراب ، على مقربة من بلدتهم التي ولدوا وعاشوا فيها ، ويعمل الزمن عمله بأجسادهم ، فيحولها الى تراب يختلط برمال الصحراء ، فلا يبقى لهم أي أثر [١] .

ولو محصنا الحقيقة من الرمز والواقع والأسطورة والممكن من المستحيل ، لوجدنا أن الثورة وعملية الخلق الفني والإخصاب ، بالمعنى الاسطوري والواقعي ، عودة الى الحضور أو هو البعث في الحياة عن طريق الانتقال عبر لحظات التجدد الثوري الى ذات اكثر اكتمالاً . ولكن الناس في خضم تلك العصور الموغلة في القدم ، لم يكتشفوا هذه الحقيقة ؛ لأن الفلسفة والعلم كانا لايزالان في دور الطفولة ، ولكنهم حاموا حولها ، وحاولوا أن يجسوها — دون أن يعوها — بشكل جنيني غامض . وما شخصية جلجامش — الذي كان ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية — إلا شروع غامض في الرؤيا لخلق الانسان الثوري الذي يحاكي الآلهة والطبيعة ، وينافسها في الخلق والابتكار ، بل يوقعها أحياناً في شراك حبه ، كما وقعت عشتار — بهجة البشر والآلهة — في حب جلجامش :

(١) حضارة بابل وآشور : غوستاف لوبون .

رفعت عشتار الجليلة عينيها ورمقت جلجامش ونادته :

تعال ياجلجامش وكن عريسي

وهبني ثمرة أتمتع بها ،

كن زوجي وأكون زوجك

سأعد لك مركبة من حجر اللازورد والذهب

وعجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز

* * *

اذا دخلت بيتنا ، فستقبل قدميك العتبة والدكة

سينحني لك الملوك والحكام والأمراء .

فمن عدمية البابليين وتشاؤمهم انحدر جلجامش البطل النموذجي الاسطوري ، الذي تحدى الموت والقدر والآلهة ، فجمع بذلك بين صفة الكائن المتناهي والكائن اللامتناهي ، باعتبار ان الآلهة وحدها كانت كائنات لامتناهية ، فهو بطل حر ، لكنه كان وحيداً في المنفى والملكوت ، لذلك رأيناه باحثاً عن رفيق له ، حتى وجده في شخصية « انكيدو » .

ولكن « انكيدو » كان بشراً ، ولم يكن ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة ، لذلك لم يلبث أن مات . ومن هنا ، جاءت رحلة جلجامش الى العالم السفلي بحثاً عن سر الموت والحياة .

وبعد رحلة شاقة مضنية قام بها جلجامش الى العالم السفلي ، عاد بخفي حنين ، ناجياً بنفسه ، التي قدر لها الخلود .

فانكيدو الذي لم يكن من مادة الالهة : هو الارهاصة الأولى أوالبذرة المتقحمة لإنسان المستقبل : الثوري والفنان ـــ الذي لم يقدر له البعث في تلك

العصور السحيقة ، ولكنه ، سيولد حتماً ، فيما بعد ، من الأرهاصات التي تظل تتكرر في تاريخ الانسانية ، ومنها ولد — كما رأينا — وسيولد انسان الأجيال القادمة .

فما الذي فعله البابليون أمام ظلمات العدم التي اكتنفتهم لاسكات القلق المدمر الذي كان يعصف بنفوسهم ؟ فالقابلة التي أخرجت رأس « انكيدو » من رحم أمه ، ومسحت عيونه الانسانية وفتحتها للنور ، كان عليها أن تنتظر ، لأن الظروف الموضوعية لميلاده وحياته لم تتهيأ بعد ، ولأن الحتمية التاريخية لم تتوفر شروطها . فلقد كانت تلك العصور حكراً ووقفاً على الالهة والطبيعة ، أما البشر فقد كان عليهم أن ينتظروا ، لأنهم كانوا لا يزالون في العالم السفلي ، يناضلون ضد شروطهم القاسية .

فموت « انكيدو » كان اسقاطاً لحنين العودة الى الظهور الذي اعقب ميلاد جلجامش ، لان وجود جلجامش كان الغاء لوجود انكيدو ونفياً له ، باعتبار أن الاول هو الاقوى والابقى ، لانه كان من مادة الآلهة ولان الآلهة وحدها كانت قد استأثرت بالحياة . لذلك باءت الانسانية بالفشل في تلك العصور في انجاب بطلها التاريخي . فاقتصار البعث والخلود على الآلهة أغرق البابليين بسيل من الرقى والتعاويذ والصلوات والسحر والاساطير الدينية ، ولكنها بمرور الزمن فقدت بكارتها وقدرتها على التأثير في النفوس ، وتحولت الى حرفة يعتاش عليها الكهنة ، وتحولت على يد النظامين والشعراء في العهود المتأخرة من تاريخ بابل وآشور الى قوالب لفظية جامدة متحجرة ، غير قادرة على الخلق والابتكار ومنح الايمان والرؤيا الجديدة انسان تلك العصور ، بعد أن كثر الابطال الاسطوريون المزيفون .

ولكننا ، سنرى ، ان هذه الاساطير ستصل بعد حين من الدهر ، وقبل أن ترقد بابل رقدتها الاخيرة ، الى يد الاغريق، فيحدثون عن طريقها ثورة جديدة – بعد تحويرها – في الرؤية للانسان والعالم والطبيعة .

وعبر هذا العذاب المقيم ، وتداعي عبادة وقوى الطبيعة ، وتكريم الموتى، وتحولها الى حرف وتقاليد جوفاء ، كان لابد من دم جديد يسري في عروق المومياء وسط الخراب والفوضى والدمار ووسط فقدان الاسطورة والشعر القدرة على منح الانسان الرؤيا الجديدة . وقبل ان يسري الدم الجديد في عروق المومياء سقطت بابل وسقط معها مشعل النور الذي اضاء ظلمات تلك العصور :

« وهكذا أخر ساجداً وما من احد يمد يده نحوي

« وأجهر بالدعاء ولا من يسمع

« وقد انهكني الشقاء وليس من يخلصني

« وهكذا اقترب من ربي الرحيم وابث له شكواي .

« لقد ارتكبت ذنوباً ، فلتهب عليها الريح لتمسحها

. . .

هذه خطوط عامة لرحلة طويلة تمت بها في شبابي الباكر عبر الحرائق الشعرية التي كنت أحترق بها ، وهي لم تكن رحلتي الأولى ولا الأخيرة ، في الكشف عن صفحات هذا الانسان الذي عاش في هذه البلاد العريقة التي ننتسب اليها .

وهي سيرة ذاتية ، ارتبطت بالخطوط العامة لهذه الرحلة الطويلة ، فاذا

وضعنا الى جانبهـــا سيرتي الذاتية المرتبطة برحلة اخرى طويلة في الكشف عن صفحات هـــذا الانسان ذاته في ظل الحضارة العربية - الاسلامية العظيمة ، لاجتمعت أجزاء الصورة .

فالعرب الساميون - كما يقول غوستاف لوبون - هم اول من علم التوحيد المطلق ، فقهروا ممالك العالم باسم « الله » وفتحوها فتحاً روحيـــاً ، استمر في التوسع والانتشار بعد توقف الانتصارات المادية التي لم يبق من نتائجها الا القليل - فورثه - هذا الانسان العظيم الذي ناهز الخمسة آلاف سنة من عمره - سقطوا تحت سنابك خيول الغزاة : منذ الغزو المغولي حتى انحسار مد الاستعمار الأوربي في منتصف القرن العشرين .

وبذلك انطبق عليهم قول أحد المؤرخين [كانوا انصاف تعساء ، قبل الاستعمار الاوربي ، ثم أتمم اوربا بنصف التعاسة الآخر ، فاكتمل عليهـــم ثوب الحداد] .

فالتعاسة الصامتة التي لايتحدث عنها ، ولا يسمع بها احد وسط هذه الأنقـــاض والبحث والكشف عن انسان كل الحضارات والعصور ، دفعني الى مواصلة الطريق وراء هذا الفجر ، الذي كان أشبه بالخيط في يد ليل طويل ، كلما القى به في افق ، عاد اليه .

* * *

هاأنذا أوشك على الانتهاء من هذه الصفحات التي قدر لبعضها ان ترى النور ولبعضها ان يضيع في الزحام وان تحمله الريح الى بلاد بعيدة ، وهاأنـــذا أعود ثانية لأهز شجرة الزقوم التي تواجه البحر والصحراء والسماء ، وحيداً بلا وطن او بيت ، بعيداً عن ولائم هذا العالم واعياده وصخب تجاره وساسته .

فهذا الانصهار والاحتراق والقلق الذي يفترسني ليل نهار ، كما افترس من قبلي شعراء سومر وبابل وبغداد ودمشق في عصور النشوة والكشف والفتح والبراءة والقتل والأرهاب والسحر الاسود والميلاد الجديد والثورة ، هو الذي قضى على مطامحي الدنيوية ، بل انه دفعني الى احراق كل الجسور التي تربطني بأبعاد الارض ، والى مواجهة جدار الاعدام .

فأنا منفي داخل نفسي وخارجها ، مبصر واعمى ، ميت وحي ، في حوار ابدي اخرس مع موتي في رحلة الليل بالنهار .

ان اليقظة المرعبة التي اعيشها والوعي الحاد بالعالم والأشياء ، جعلني اشبه بجوزيف (كافكا) ، ولكني ادري ، على الأقل ، لماذا انا هنا ، ولماذا عصبت عيني .

فسقوط قشرة الواقع السياسي وانتفاء الجدل والصراع - بعد المد الثوري العظيم في الخمسينات - الذي أخمده وامتصه - الساسة المحترفون ، لحسابهم - ولعبة تبادل المراكز - إذ يأخذ الخائن مكان الثوري - ومحاصرة الثورة العالمية ومحاولة اغتيالها واستخدام كافة الاساليب الميكافيلية والايدلوجية لايقافها ، وخيانة بعض الكتاب للواقع الثوري ، وتحولهم الى ببغاوات وملفقي بكارة للواقع المومس وللبورجوازية العجوز .

كل هذا جعل من الارض ، التي نقف عليها ، رمالاً متحركة ، أشبه بالرمال المتحركة التي كان يقف عليها الشاعر البابلي القديم صارخاً في وجه الكهان والسحرة والمشعوذين والوعاظ الساسة المحترفين ، يوم كان معذبو الارض في بلاد سومر وبابل ينتظرون الطوفان - الذي تنبأ به العرافون - لكي يغسل الأرض من أدرانها ،

ويوم ماتت الأسطورة ومات « انكيدو » وعناه تنظر ابن الطوفان والبعث الجديد :(١)

لتندبك المسالك التي سلكتها في غابة الأرز
وعسى أن لايبطل النواح عليك ليل نهار
وليبكك شيوخ « أوروك » ذات الأسواق
وليبكك الأصبع الذي أشار إلينا من ورائنا وباركنا
فيرجع صدى البكاء في الأرياف
ولتندبك الدب والضبع والفهد والنمر والأيل والسبع
والعجول والظباء وكل حيوان البرية
ليندبك نهر « أولا » الذي مشينا على ضفافه
وليبكك الفرات الطاهر الذي كنا نستقي منه
لينح عليك رجال « اوروك » ذات الأسوار
ولينح عليك من أطعمك بالغلة
ومن مسح ظهرك بالزيت المعطر ومن سقاك الجعة
ولتبكك الزوجة التي اخترتها
وليبك عليك الإخوة والأخوات

(١) هناك بعض الشبه بين علاقة « كاسترو » برفيق نضاله « جيفارا » و« جلجامش » برفيق أسفاره ومغامراته « انكيدو »، وأبيات القصيدة رثاء جلجامش لأنكيدو .

كليات الآداب في الوطن العربي
بين الأصالة والتبعية

د. شكري فيصل

حين تقوم كلية جديدة من كليات الآداب في بلد من بلاد العربية أجد في أعماقي انتشار غبطة ومشاعر فرحة لا لأن مجالات جديدة للدراسة والبحث ستفتح آفاقها وترتفع أعلامها ويقيض الله لها هؤلاء الباحثين والدارسين فحسب .. ولكن لأن انشاء كلية آداب في بلد ما من وطننا العربي انما هو تأكيد على وجود الذات العربية وتفتيحها واثارة لبواعث الحياة والفكر فيها ودعم للكيان العميق الذي تقوم عليه الحياة ، وصقل للوجدان الجماعي والفردي الذي أوشكت ظلمات القرون العجفاء أن تغطي عليه فلا يكاد يوجد ، ولا تكاد تسمع له من حسّ أو ركز .

٢ — وليس حقاً مايبذل أحياناً من هين القول حين يزعم الزاعمون أننا في غير حاجة ماسة الى كليات آداب او الى مثل هذه الكليات النظرية الأخرى التي تتجه الى الدراسات الانسانيـــة وتقتصر عليها . ذلك ان إيماننا بكليات الآداب لايقلّ عن إيماننا بكليات العلوم ... انهما — هاتان الكليتان او هذان النمطان من الدراسة والبحث ليسا متناقضين او متعارضين، وإنما هما حلقة واحدة متكاملة يدور فيها الوجود الانساني عقلاً وروحاً ، حساً ووجداناً ، واقعاً وذاتاً .. انهما معاً، وجود مفروض في كل حركة او نهضة .. وعلى قدر مايشتد سلطان العلم وتقوى الحاجة اليه وتشرئب نحوه أعناق الشعوب النامية والآخـــذة بالنمو ، على قدر مايكون من حاجة هذه الشعوب الى الدراسات الانسانية إدراكاً للحقائق الكبرى الخـــالدة التي تهتدي بها البشرية والتي يهتدي بها الأفراد على حد سواء ... انهما توشكان ان تكونا — على كل مابينهما من فروق رحبة عريضة — شيئاً واحداً في مقاييس النهضات السليمة .

٣ — ومن هنا يحسن ان يكون منطلقنا حين تكون كلية جديدة من كليات الآداب في وطننا العربي ... إنها ليست نافلة من النوافل ولا ترفاً من الترف ولا شيئاً يمكن ان يستغنى عنه ، ولا أمراً يمكن ان نؤخره الى فترات متأخرة .. وانما هي فرض من الفروض مادمنا نؤمن بالانسانية وبالناس ، وما دمنا نتطلع الى استمرار هـــذا الخط الحضاري العربي بين أعمق اعماق الماضي وأبعد أبعاد المستقبل .

٤ — غير ان الذي يحسن ان نفكر فيه ونحن نتبين كليـــات الآداب المختلفة تبدو نبتات خضراء على طريق المعرفة .. بعضها لايزال غضاً طرياً وبعضها قد استوى على سوقه ... بعضها يشق طريقه يغالب الريح والرمال والظمأ ...

وبعضها قد استبان له الطريق واستوت له التقاليد - ليس الوجود المتفرد المتميز لهذه الكليات وإنما هو الوجود المتكامل: مهماتها التي تنهض بها، وتماثل مابين هذه المهات.. وغاياتها التي تهدف اليها وتكامل هذه الغايات، وتجاربها التي تمر بها وتجنب تكرار التجارب التي استبان خطلها او عقمها .

ان الوجود السليم والمتميز والمتكامل لكلية آداب ما في نظر عربي هو الذي يحسن ان يستبد باهتمامنا وان يستأثر بتفكيرنا .

فما الذي نرجو ان تحققه كليـــة من هذه الكليات في قطر من الأقطار العربية .

- ٢ -

لقد كانت البدايات الأولى لأقدم كلية آداب عربية - كلية آداب القاهرة - بداية سليمة جداً .. كانت الغـــاية التي نظرت فيها وطمحت اليها انما هي البحث العلمي، في سبيل هدفين اثنين .

أحدهمـــا كشف الخط الذي يصلنا بالماضي ومعرفة هذا الماضي معرفة وثيقة .

والآخر تبين الخطوط التي تربطنا بالمستقبل والتطلع الى تحقيقها .

ولكن هذا البحث العلمي الذي هو أبرز مافي مهمة الجامعات لم يسلم مع الزمن .. فقد شاركته أغراض اخرى عاجلة غطت وجهه وأوشكت ان تطمس منه الألق، اذ استبدت بالجامعة هذه الخصومات حول مدرس اللغة العربيـة في المدارس الثانوية من أين يكون : من الأزهر او من دار العلوم او من الجامعة .. فاذا الجامعة تنزلق عن طريقها الأصيل السليم الذي كانت تنهجه وتحاول ان تمضي فيه الى هذه الطريق الأخرى التي ربطت بين الجامعة وبين المدرس، بين العمل

العلمي وبين العمل المعاشي ، على نحو كان لابدّ ان يفسد الأمرين معاً : ان يفسد العمل العلمي وان لا يحقق الغرض المادي الذي أوشك ان يستبد بالكلية والمتخرجين.. والذي أخرج مناهج الدراسة فيا بعد عن أهدافها العامة الى مثل هذه الأهداف المهنية الاخرى التي لاتنشأ الجامعات في الأصل لها وانما تنحرف اذا انحرفت نحوها.

وسأتحدث بعدُ عن هذا الانحراف ، لأني لاأخصّ به كلية ما من كليات الوطن العربي .. ولكني انما أردت هنا ان أقول إن هذا الذي وقع للكلية الادبية الأولى ، كلية القاهرة ، تجاوز في تأثيره القاهرة ، على انها البلد العربي الأول، الى العواصم العربية الاخرى .. فلما جاءت هذه العواصم تنشىء كليات الآداب هنا وهناك في بغـــداد ثم في دمشق وفي المغرب والرياض كانت الصورة الاخرى — الصورة المنحرفة — هي التي سيطرت وهي التي تمكنت وهي التي فرضت وجودها في صراحة ووضوح حيناً ، وفي استحياء وغمغمة حيناً آخر .. ولكنها كانت — على نطاق الواقع — هي التي نشرت سيادتها وسلطانها .

وتفسير ذلك ان المراسيم والقرارات التي أنشئت بهـــا كليات الآداب المختلفة في الوطن العربي لم تُغفل نظرياً مهمة البحث العلمي .. ولكنها ، في نطاق التطبيق ، نامت عن ذلك . أو انها أكرهت على هذا النوم.. إنها عرفت ، في البدء، ان الحاجة الى كلية الآداب ليست تخريج المعلمين والمدرسين قدر ماهي اكتشاف الذات .. الذات العربية — الاقليمية لقطر ما ، على قدر مايكون من تميزها في حياة عربية مشتركة الطوابع ، .. والذات العربية المشتركة بين هذه الأقاليم .. ولكنها حين مضت في عملها صُرفت عن ذلك على نحو غريب .. يكاد يكون واحداً في مختلف البلاد العربية .. وصُرفت عنه على نحو مثير جداً أوشك ان يفرّغ كليات الآداب من مضمونها الأصيل ، وان ينزع عنها صفتها الرئيسية في

القيادة الفكرية او في توليد العناصر المساعدة على القيادة الفكرية الحقة ، وإن محيلها أبنية من غير روح ، وأساتذة من غير أهداف بعيدة ، وبرامج لاتكادتنظر الى أبعد من أنفها ، وطلاباً لايعرفون من روح الجامعة الا مقدار مايكون من تقييم لشهاداتهم في سوق الوزارات المختلفة ، ان توازن بين هذه السوق الداخلية والسوق الخارجية .

- ٣ -

إني اعرف الظروف القاسية التي تمر بها البلاد العربية في نطاق نشر التعليم ، والحاجة الماسة الملحة التي لا تعارض الى المدرّس الذي يحمل زاداً فكرياً مجزياً يساعده على أن يفجر القوى الكامنة في نفوس الجيل الناشيء . . أعرف ذلك معرفة معاناة ، ولا يستطيع باحث أن يجمله او يتغافل عنه لحظة واحدة . . فالأعداد الضخمة التي تحتاج اليها من المدرسين في مثل بلادنا النامية أمر يرتفع فوق كل جهد ، وتجب فيه كل تضحية .

ولكن هذا أمر ، واستخدام كليات الآداب لهذا الغرض - واوشك أن اقول لهذا الغرض وحده - أمر آخر . . ان اختلاف هذين الأمرين هو جوهر المشكلة التي تعانيها كليات الآداب في البلاد العربية المختلفة والتي توشك ان تخرج بها عن غاياتها . . . أعني توشك ان تسلب هذه الكليات معناها الاصيل وحقيقة وجودها او مبرر هذا الوجود في هذه الصورة العلمية المتألقة . . . واغفال الفروق بين هذين الأمرين وتجاوز اختلافها ، في طبيعتها وغايتها ، وتسخير احدهما للآخر هو الذي أحاول أن أفرد جانباً من هذا المقال للاشارة اليه والتنبيه عليه .

هل يكون معنى هذا الذي اذهب اليه ان نباعد بين حاجتنا الى المدرسين وبين كلية الآداب . . . وان نسكت عن هذه الحاجات الملحة ، وان نجعل كلية

الآداب قاصرة على الدراسات والابحاث لاتعداها ؟ ...

واضح جداً ان هذا المفهوم المخالف ليس كذلك هو الذي نطبقه في واقع حياتنا العربية .. قد يكون هو الذي نتمناه في صورة المثل العليا التي نطمح اليها .. ولكننا حين نزاوج في نظرتنا بين الواقع وبين مانتمنى ، وحين نقرن النظر الى العمل في شيء من التناسق والتواكب ، فاننا سرعان ما نجد الحل السليم .

ذلك ان كليات الآداب تستطيع ان تنهض بالمهمة المزدوجة : مهمة اعداد المدرسين ، ومهمة البحث العلمي في آن واحد .. ضمن نطاق الادراك العميق للمهمتين ، والاعداد المنظم لها ، والتخطيط والتوجيه نحوهما .

ولكن مشكلة كليات الآداب في الوطن العربي في واقعها الحالي انها نسيت غرضها الاول في البحث الصرف ، وأقبلت على الغرض الآخر في اعداد المدرسين ... فتجاوزت بذلك طبيعتها الاصلية .

قد تقول : ولكن هناك طائفة كبرى من علمائنا وادبائنا ومفكرينا انما هم من خريجي هذه الكليات .. ولكني اقول لك ان ذلك لم يكن عن غرض رمت اليه الكليات فاصابته ، ولم يكن عن توجيه مقصود عملت به فأثمر عندها هذا الثمرات ... ولم يكن عن تصميم مسبق قدر ما كان عن طريق الصدفة العابرة .

ومع ذلك فان احداً لايجادل في ان هنالك قصوراً ضخماً في اعداد هؤلاء الباحثين اولاً وفي كفاياتهم ثانياً ، وفي تنسيق عملهم وفاق حاجات الوطن العربي فوق ذلك .

فكيف نستطيع ان نتلافى ذلك كله ؟

من هاهنا اريد ان ابدأ الحديث متمنياً قبل كل شيء ان نستطيع النجاة من هذا الانزلاق الذي جورنا اليه تحت ضغط الحاجات التعليمية .. لاأقول ان نقف ضد هذه الحاجات او ان نتصامم عن ندائها العميق .. ولكني اقول ان لا تغفل الكليات - في سبيل هذه الحاجات - طبيعتها الاصلية وهدفها المتميز .

لقد قدمت في بداية الحديث الاشارات الى المهمة العلمية القومية الرحبة التي تنهض بها كليات الآداب .. واذا كان ذلك يصدق مرة واحدة على كليات الآداب في العالم فانه يصدق مائة مرة على كليات الآداب في الوطن العربي .

ان هذا الوطن العربي - والأوطان الاخرى المتصلة بالعربية من حوله - يتميز بان له حضارته العريقة .. وهي حضارة تجاوزت نطاقه القومي الخاص الى النطاق الانساني العام .. تمثلت الحضارات السابقة ثم صاغت الحضارة العربية الاسلامية التي كانت - او اوشكت ان تكون - وحدها حضارة الناس حينا من زمن طويل .

وفي هذه الحضارة هذه العناصر المتصلة المستمرة : اللغة والدين وكل ما يتصل باللغة والدين من دراسات ، وفيها هذه العناصر المنقطعة التي تتمثل في مقدار ماحققت من انجازات ، اذا كان العالم يتجاوزها اليوم او يحاول ، فهو لايزال مرتبطاً بها ، بافكارها وقوانينها ومعادلاتها وكثير من مسلماتها .

والشعوب النامية (كذلك يسمونها تفاؤلاً أو خداعاً !!) يمكن ان تندرج في مجموعتين :

— شعوب لاحظ لها من حضارة أو أن حظهـــا من الحضارة لايجاوز محيطها الخاص ومجتمعاتها الضيقة .

— وشعوب اخرى حظها الحضـــاري ضخم له جذوره البعيدة التي ضربت في كل جوانب المعرفة ، تنمية لها وتغذية ، شأن الشعب العربي .

وما من شك في أن واجبات هذه الشعوب الاخرى ، وهي تأخذ طريقها الى الموكب الحضاري ، واجبات أثقل وأعتى .. لان هدفها لا أن تتقبل الاشياء تقبلاً انفعالياً ، بل ان تتفاعل معها لتسهم بعد ذلك بتطويرها .

فاذا ذكرنا أن للشعب العربي رسالته الخالدة التي لا يستطيع أن يتخلى عنها ، وأن موقعه الأصيل الذي أراده له الله ، وفرضه التاريخ وصاغته الاحداث موضع مشاركة لا موضع تبعية ، وموقف قيادة لا موقف انقياد ـ أدركنا الآفاق البعيدة التي يكون على كليات الاداب في الوطن العربي أن تنهض بهـا وأن تسعى اليها .

ومن هنا يجب ألا ينفصم مجال ما بين كليات الاداب وبين البحث العلمي المتصل الذي يمتد في أعماق الماضي : كشفاً واثارة وصلة ، كما يمتد في آفاق المستقبل تطلعاً وريادة واندفاعاً وراء المثل العليا والغايات الانسانية البعيدة ..

واذا كان الأمر كذلك فما الذي نستطيع أن نقوله عما قدمت كليات الآداب في الوطن العربي من عمل واع موجه مسؤول ؟

ان هذه الكليات موزعة بين أن تكون محدثة — بعد الحرب الثانية — أو أن تكون قديمة .. وليس امام القديمة منها إلا أن تعاود النظر في (دورها) الأصيل .. وليس امام الكليات المحدثة إلا أن تحاذر تجاوز هذا الدور او اهماله أو الغفلة عنه .. وليس امام الكليات المحدثة والقديمة معاً إلا أن تتعاون على ذلك

في عمل يرد عليها روحها الجامعية ويردها الى أهدافها الأصلية التي أنشئت لها .

ان اكبر الانحراف ان تنسى كليات الآداب هذه الاهداف الاصلية وأن لاتكون لهــــا خطة واضحة ومنسقة في سبيل البحث العلمي في الدراسات الانسانية سواء في نطاق الثقافة العربية في ماضيها وتطلعاتها، او في نطاق الثقافات الاجنبية الاخرى في صلتنا بها واطلاعنا عليها ومشاركتنا فيها .

ولا يتم ذلك إلا في عملين متصلين :

أحدهما أن تتجه نسبة معينة — في شروط انتخابية سليمة خالصة للعلم دون اي اشراك للأهواء والمصالح والأغراض — من الخريجين وجهـــة البحث الصرف . وهذا أهون العملين .

والآخر أن تلتقي كليات الآداب في الوطن العربي على برنامج مشترك في ذلك ، تعرف بداياته ووسائله وغاياته .

ان الطريق الى ذلك شاق طويل .. ويكفي أن أدلل على هذا الذي أدعو له باشارات موجزة الى الجوانب التالية من جوانب الدراسات الأدبية :

آ — في جانب التراث :

فنحن لانزال من شأن هـذا التراث في شيء هو الى الفوضى والارتجال أقرب .. ودَعْ عنك ان الأمر ، وهو امر علمي صرف ، ألبس صبغة تجارية أفسدت طوابعه العلمية .. دع عنك هذا ، وانظر في الذي نفعل في هذا التراث وفي الطريقة التي نفعل .. وسترى أننا لم نصلْ بعدُ الى مخطط يقدم الاصول على الفروع ، ويُعنى بالأمهات قبل غيرها أو تمهيداً لغيرها ، ويُيَسر السبيل امـــام الباحثين حين يضع في ايديهم ما يحتاجون اليه .. ان كثرة من هـذه الأصول لاتزال لم تر النور بعـــدُ .. الأصول اللغوية ، والأصول الأدبية ، والأصول

التاريخية ، والأصول الفلسفية .. بل اننا لم نبلغ حد التواصل المادي في ذلك .. فلا يزال من العسير أن يظفر الانسان - اريد العربي - وهو في عاصمة بصورة من عاصمة عربية اخرى .

ومن الذي يستطيع أن يتدارك ذلك إلا جماعات الباحثين في كليات الآداب .. جماعات تتفرغ للبحث وتنقطع اليه ، حتى يكون لها بعد ذلك انتاجها المرجّى فيه .

ب - في جانب الترجمة :

إننا مسبوقون الى العناية بتراثنا وحضارتنا بما صنع المستشرقون في ذلك وما قدموا .. ولكن أعمال هؤلاء المستشرقين - أو كثرة منها - لاتزال بعيدة عن نطاق الباحث العربي ، يستفيد منها أو يصححها .. انها مقالات في مجلدات ضخمة متعددة .. لايعرفها إلا قلة نادرة .. وكتب ماهو مجهول منها أضعاف ماهو معلوم .. ودراسات ومقدمات وتعليقات لم نزل على نحو ماوضعها اصحابها منذ مائة سنة .. أليس من القصور الذي ليس وراءه قصور أن التعليقات على طبعة الطبري لم تنقل حتى اليوم الى العربية .. وأنها حين طبعت منذ عامين ، او حول ذلك ، في عاصمة عربية طبعت مصوّرة كما هي ، بالرغم من هذه العقود الطويلة من السنين التي مرّت عليها .. وهل تستطيع كليات الآداب أن تقول إنها تفكر في ذلك وانها تخطط له وانها تتوزع العمل فيه وانها تصرف دارسين من ابنائها نحو هذه اللغة او تلك صرفاً منتجاً في سبيل الاستفادة (أو دفع الأذى إن شئت) من جهود مئات المستشرقين في مدى واسع وسنين متصلات .

وهل هنالك شعب آخر يجهل ما كتب له وما كتب عنه كما يجهل ذلك الشعب العربي ؟

جـ - في جانب الدراسات العربية المحلية والاقليمية :

واذا نحن تركنا هذا التراث المشترك الى هـذا التراث الذي يوشك ان ينفرد به قطر ما من الأقطار : تاريخ هـذا القطر او جغرافيته ، او ادبه في عصور التفكك وما كتبت في ذلك وما ألف .. فما الذي استطعنا ان نعرف منه وأن ننقله وان نمتحنه ؟ . مئات من الكتب الـتي تخص قطراً بعينه ، كهذه الكثرة الكثيرة التي كتبت عن بعض اقطار المغرب او المشرق لاتزال مجهولة او كالمجهولة .. يستفيد منه خصومنا ولا نعرف نحن عنه إلا النتف والشذرات .. بل إننا لا نكاد نعرف بلادنا الأولى .. فليس هنالك ، في المستوى الذي يبعث على الاطمئنان ـ خريطة واحدة لجزيرة العرب والأقطار التي تطيف بها تتضح فيها الأسماء القديمة والجديدة على نحو لايخلو من ضلال او تضليل .

إني لو ذهبت أعدد لما وسعني جهد او وقت .. إن كل تلك آفاق لم تصل اليها دراساتنا وأبحاثنا لسبب واحد .. ليس هو عجزنا ، وانما هو قصورنا عن عمل منظم ، وانحرافنا عن المعنى الجامعي الأصيل لكليات الآداب وعن ادراك أثرها البعيد في إقامة الروح القومية واغنائها ودفعها .

أليس من العجب ، في ظواهر الحياة الأدبية المعاصرة ، أن تتم عشرات من اللقاءات في أوساط مختلفة ثم لايتم ، حتى اليوم ، لقـاء أصيل - بعيد عن مراعاة الدول الداعية او الدول المدعوة - في نطاق كليات الآداب .. الكليات التي نعتقد انها وحدها هي القادرة على حماية الروح والفكر ، على اغنائها واثرائها !..

ان الكليات المحدثة في بعض الاقطار القادرة في تعاونها مع الكليات القديمة في الاقطار الاخرى من هـذا الوطن العربي جديرة ان ترفع معاً علم

الدعوة الى كليات آداب جديدة حقاً . . كليات لاتنسى مهامها الأصيلة في البحث ، وتؤمن ان العمل في هذا السبيل هو العمل الصالح الذي يقوم على دعائم اقوى من الصخر ، ويحقق نتائج ابهى من الفجر ، ويشد من روابط هذا الوطن المترامي ، في طريقه الى المستقبل بأوثق ما يشدّ إلى عامـــل آخر من هذه العوامل التي تتناهبها الغايات .

هـل ترى اية كلية من كليات الآداب تتقدم لترفـع لعيون الساربن والمتطلعين والهائمين علم الدعوة العريض الى هذا ؟

معركة ميسلون

دراسة تاريخيّة عسكريّة للمعركة وللظّروف
التي أدت إليها من الناحيتين السّياسيّة والاقتصاديّة

تأليف: إحسان هندي

منشورات وزارة الثقافة - دمشق

سعر النسخة ٢٤٠ قس أو ما يعادلها

انفجار

سليمان العيسى

« فجّر رجال المقاومة العربية صباح الأمس مستودعاً للذخيرة .. في الارض المحتلة .. جنوب تل ابيب .. »

« نشرات الأنباء »

أراعكم في وضح النهار
دمدمة انفجار ؟
في القدس ، في غزة ، في الجليل
في البلد القتيل
من يزرع الريح — قديماً قالت السماء —
يحصد مع العاصفة المفجوعة الدماء

* * *

أفوجىء الغزاة
بنبضة الحياة ؟
أكان شيئاً غير منتظر
تمزق الغيم عن المطر ؟

دمدمةُ انفجارِهْ
في وَضَحِ النهارْ
تَرُشُّ فوقَ البَلَدِ القتيلْ
قطرةَ ضوءٍ ، تنقعُ الغليلْ
تزحزحُ الخَنجَرْ !
عن ظهرِنا ، تثأرْ !
أكانَ شيئاً غير منتظرْ
أنْ يطلُعَ السَّحَرْ ؟
أنْ يستفيقَ فجأةً نهارْ
أنْ تشربوا من الدم الذي سفكتُمْ
زَعْقَةَ انفجارْ ؟

* * *

في وَضَحِ النهارْ
لم يكن انفجارْ
ذاكَ الذي يدقُّ كل يومْ
صدورَكم ، يعود كل يومْ
كالطائر الذي ذبحتم فرخَه يعودْ
يحوم حول عشه ، يمزّق الحدودْ

* * *

لم يكنِ انفجارْ
ذاكَ الذي عطّرَ أمسِ غُرّةَ النهارْ

كانَ صُراخَ طفلةٍ .. كحبّةِ الندى
منْ « قِبْيَةٍ » .. كحبّةِ الندى
مَن « دير ياسينَ » .. أتذكرونْ ؟
حشرجةُ الأطفالِ لا تُطفِئها السنونْ
قتلتُموها .. رُبما للّهوِ ، للعبَثْ
من بعد ما تكدّسَتْ في القريةِ الجثَثْ
كانَ صُراخَ طفلةٍ ، كان نداءَ الأرضْ
هذا الذي يؤرّق الجفنَ ، يرجُّ الارضْ
في وَضَحِ النهارْ
في يَقْظَةِ الصغارْ
يعودُ ، يروي قصةَ الدّمارْ
يصحو من القبرِ نشيدَ نارْ
كانَ نداءَ أمةٍ ..
كان انفجارَ الثارْ

لهيب الرؤى

جورج صيدح

(قصيدة من وحي الخامس من حزيران، اقدمها الى الفدائيين الابطال ، كبرياء الامة العربية ، حماة عرضها وشرفها وارضها) .

بلبلوني بقولهم بابليّة   واستغلوا كآبتي في العشيّة
قلت صبراً ـ وماملكتُ اصطباري   وأماناً ـ وما أمنتُ الشهيّة
هاتها يانديمُ واستنزل الجنّ   عليها ، وناشد العبقرية
إنني أشرب الحرام حلالاً   حين استنطق الطيوف العيِيّه

* * *

شعشع الليلُ أفقَ نفسي ، وكأسي ،   بوميض السهى وظل الدجيّة
والخيالات نصب عينيّ حيرى   بين أخذ الأسى ودفع الحميّة
حسبك الله ياخيال بلادي   أشكاةً حملتَ لي أم تحيّة ؟
حبذا لو نسيتَ أمرَ شقائي   وشربنا نخبَ الديار الشقيّة

* * *

ربّ ذكرى تطلّ من كأس خمرٍ ... كعيون العُفاة شكوى ، ندية

ماعرفنا بها فلسطينَ لو لم ... يشهد الطعمُ انها دموية

تلك ذكرى تلألأتْ قطراتٍ ... من جراح المجاهدين الطريّة

تتلظّى على الشفاه وترمي ... في الحلاقيم من لظاها شظيّة

* * *

يالهيب الرؤى ، غمسناك في الكأس ، فما أخمدتك كأسٌ رويّة

الحَباب الذي تناثر منها ... ليس إلاّ رُغى الصدور الشجية

يالهيب الرؤى على أجنّة الاقداح ... مثّلتَ ثورةً قدسيّة

في نفوسٍ تمرّدتْ وجسومٍ ... تغسل العارَ بالدماء الزكيّة

يالهيب الرؤى، رقصتَ مع الاشباح ... في هالة السنا القزحيّة

تلك ارواحُنا تراءتْ فراشاً ... فيك ، مجذوبةً بنارٍ خفيّة

يالهيب الرؤى ،لسانك سيفُ الحقّ ... صورَ العدالة الأزليّة

أنذر الغاشمين انّ حساب الله ... ماحٍ غداً حسابَ البريّة

* * *

يالهيب الرؤى ، ولولاك ماعاشتْ فلسطينُ في الضمائر حيّة

لاعدمناك ياشعاع عيون الغيب ، يا فاتح القلوب العصيّة !

نحن قومٌ على الكريهة طبنا ... ونجونا من غمرة الأمّعيّة

ما ترانا كفحمة الجمر مسّت ... شررَ النار فاستحالت سنيّة ؟

كم حبسنا دموعنا وسفحنا ... دمعة الكرْم ، سخرةً بالمنية !

لو تراءت ثاراتنا في جحيمٍ ... لركبنا إلى الجحيم مطيّة

كُتبت آيةُ الفداء علينا ... وعلى الله والفداة البقية !

ثلاث قصائد

خليل الخوري

١ ـــ اللوح :

آخرُ الليلِ لوحةٌ

رسمتها يدُ النجومِ على صفحةِ المدارْ

وقّع الصحو تحتها بحروفٍ من الهدوءْ

وارتمى البدرُ فوقها عاشقاً ماله قرارْ

آهِ لو اوقفُ الزمانَ وأغزو شطوطها

أحبسُ الليلَ والنهارْ

آخرُ الليلِ لوحةٌ

أتملّى خطوطها الماس في دهشة الصغارْ

أنا لو كنتُ نجمةً آخرَ الليلِ أطلعُ

عندما الشاعر الوحيدُ إلى البيتِ يرجع

٢ — بطاقة :

وعندما يضيعُ كل شيء
يظلُّ لكْ
أنك لابعتَ ولا اشتريتْ
بذرتَ ما جنيت
انك ابصرت وما اشتهيتْ
أحببت ما انتهيت
انك آمنت وما انحنيتْ
عبدتَ ما انتقيتْ
فقلْ لمن يهدم منزلكْ
اهدم فقد بنيتْ

٣ — حلم :

ستهتفون كاذبٌ ، حديثُهُ خرافه
ما همّني . !
لكنني رأيتُهُ يطير في الفضاءْ
ممتطياً زرافه
ومشعلاً لفافه
وعندما مرّتْ به طائرةٌ طاردَها
بنفختيْ دخانْ

رمدّها
رمى بها زاداً الى الحيتانْ
ستهتفون كاذبٌ حديثه خرافه
كلامه سخافه .
لكنني رأيته يمشي على اهدابه
سألتُهُ عما به
فقال لي اشته
فانني اعطيك ما تشاءْ
قلت له : ارتحالةً تبلغني السماءْ
وخذ معي حبيبتي .
وفي مدى ثوانْ
كنّا معاً نخطر في حدائق السماءْ .
ستهتفون كاذبٌ خيالُهُ عريضْ
لكنني رأيتُهُ يمشي الى الوراءْ
يقفز كالشيطان
وعندما سألتُهُ هل تبصر الزمانْ
أراني الزمانَ في لفافه
حديثُهُ خرافة
وعقله مريض .
لكنني رأيته ...

أنا والفارس

عزيزة هارون

اني هنا شاعرة   أهمس بالعبير
ومن أحبّ فارس   مجنح أثير
سألته بلهفة   عنّا ، عن المصير
أجابني بحرقة :   كفاحنا مرير
ودربنا شائكة   والمنحنى عسير

* * *

صحت وفي حنجرتي   تلهّب الحنان
يا أمّة صامدة   تقاوم الهوان
ان يغدر الدهر بنا   فلنصنع الزمان
همومنا جامحة   فلنطلق العنان

* * *

يا فارساً عرفتـــه منوّر الجبـــين
لم أنت في درب الفدى مكتئب حزين
درب الفدى خطونا أمضه الحنـــين
لن يقهر الشعب ولن يـذل لا ولن يلـــين

* * *

وفجـــأة بادرني حبيبي الرفيـــقْ
بقبـــلة رنّانـــة لشعوري الطليـــق
وسار ! قلت الثـــأر قال النـــار والحريق
ظلّ كما أنت لظىً ملوّن البريـــق

* * *

سار الذي أحبـــه في موكب الفدى
من بعـد ما ظننتـه حـــاد عن الهدى
ودعتـــه قبيْل أن يسير بالنـــدى
ولم يضعْ حبي له ولم أضعْ سدى

* * *

لست أنا من ألهم الفـــارس أن يثور
مـــاكان من أهواه الا فـــارساً جسور
تزقزق الطـــير له وتفـــوح النسور
يأتلق الحزن بـــه يلوّن الحبـــور

* * *

كم قال لي مردداً   يا رفقة النغم
طيري الى المدى   الى ذرى القمم
وغردي وانسكبي   ناراً على الظلم
كم قال لي مردداً   ثوري على العدم

• • •

اني هنا في جوه   من بعد ما ذهب
أحلم فيه ثائراً   الى الذرى وثب
من قلبه وزنده   تفجّر اللهب
يغضب للأرض فيا   تبارك الغضب

أغنيات لزبيدة الصغيرة

أحمد يوسف داود

١ ـــ الطواف :

... شعائر النمو ! ها انا
أضم كفي الى صدري
يركع صمتي عند عينيك العميقتين
ولحظة الصلاة موسيقى
في نهدة الصدر وفي الثغر
تفتح الأكمام عن نقائها
وهبّة الوعود في طفولة البسمات والمقل .
كل ارتياب يستكين ! من يبيح نشوة الأمل ؟
رعشة هذي اللمحة القدسية
تطوف بالظنون
مشقة كنجمة الخمر

٢ ـــ الاستغماية :

صغيرتي أطبقت أجفاني
فخبئي خيالك العذب فلا أراه
سأخلع الليلة أحزاني
وأشعل القلب على مشرف أرض الله
فأين يا صغيرتي طيفك يستريح . . .
من عبث الطفولة ؟! . .
حين نهار الرغبة البيضاء يمضي ساحباً خيوله ؟!
ظفرت ياصغيرتي
لن أفتح الليلة أجفاني
خيالك الحبيب في صدري

٣ ـــ ألعاب أخر :

سنجري الآن نحو محجة الشوق
دعينا نشبك الكفين ! إن طارت . . . .
غدائرك اتركيها تثقل النسمة
فصوت العالم النشوان يدعونا
وعبر توائب الخطوات ندرك أننا بعض . .
من النور الذي يسري الى القمة
الى الزمن الذي يتعرف الاشياء بالتوق

ملائكة وعشاقٌ وأطفالُ
تلمّ حروف ما قلناهُ
وتعاو رنة التسبيح باسم الحب والربْ
وقالوا : إن في لعب الصغار عبادة !! فامضوا إلى اللُّعب
قد اختبرنا « الأسير (١) » ونحن : كلُّ صار في عصبهْ
وثار صياحنا في لعبة الحرب
ألا من كان يحسب أنني أغدو ...
أسيرك ؟! تلك أقدارٌ وأحوالُ

٤ — رقصة :

هذا زمان الحب لن ينالنا تعبْ
فلتغمر الساحات بالعشاق يا طربْ
أكفهم تلاحمتْ
أقدامهم تزاحمتْ
وشعّت الوجوه مثل هالة الذهبْ
تميل عند نشوة الخطا مع النغمْ
كل الرؤوس أقبل الزمان وابتسم
تصاعد النهار
مضى بنا ودار
ودارت القلوب خلف أنة القصبْ

(١) الأسير : لعبة من لعب الصغار في بلادنا

تشابك الوشاح بالوشاح
طار الصغار دونما جناح
لوجهك انحنيت
صَلبت واشتهيت
وشالني عبيرك الطفلي عبر النور واللهب
يَداك نحو الأرض قادتاني
وجاست الطريق خطوتان
المجد للحياة
والحب للحياة
بين الهوى والأرض يا صغيرتي تكن السبب

قصيدة إلى الفدائي العربي

أرشد توفيق
— العراق —

وأعرف وجهك القديس
رغم زحامهم، ودخانهم
وجهك
واعرف من تكون ولست أعرف
واقفاً غيرك ..

. . .

يضيء جبينك الغاضب ..
وفي كفيك زهر البرتقال
ووجده العاتب ..
يقول شذاه : لا كان الهوى
ان لم يكن لهنا ..
يضيء البرق تقرأ كل ما كتبا

وفي عينيكْ ..
طيورُ بلادي الزرقاءُ ....
تحضن في المغيب منائرَ الوطنِ
وعكا والحصاد وغيبة السفنِ
أشمّ رداءك المتربْ ..
أشمّ الارض منك تفوح
عبر تساقط المطر ..
وألمحُ جبهة القدرِ
على قدميكْ ..
وابصر خلف سور الموت
أبصر عودة القمر ..
فأرمي للرياح بطاقة السفر

* * *

« رموا حتى عصافير الكروم ، فراشة النهر
رموا بالنار حتى البلبل
المسجون في الشجرِ ..
وحين أتى المرابي يشتري قمري
خبأته في الجراح الخضر
قلت هنا .. هنا قمري

* * *

جراحك ياشقيق ربيعنا المسحورْ
شحوبك : ياسنابل

صيفنا المعطورْ ..
ونزفك للصباح العذب نافوره
ترفّ على ترقرقها الحمائم
والهوى والنورْ ..
ويرقص حولها الأطفالُ
يرقص صوتها البلّورْ

* * *

عروسك : ليلة خضراءُ .
تأرّجُ نارها وتشفّ لثقيا حواشيها
عروسك : وردة سمراء
تعشق كف ساقيها ..
ولا ترضى بغير دماك منك
لكفها حنّاءْ ..
وتطلب مهرها العربيّ ..
سبع شقائق حمراء من عكا
وسيفاً أحمراً وضاءْ
وتنتظر الجواد المزبدّ الاشهبْ

* * *

وانت على جبيني نجمة خضراء
انت ضياؤها
وحدكْ

عرافة

كمال سلطان

جفّتْ عروقُ السنديانه
والشعرُ شابْ
والقلبُ أتعبه العذاب ..
مسدودة بوّابة الزمن القديم
إلى النعيم ..
في سقفها سودُ النجوم
يا ضوء أفراحي ويا ألمي العظيم
مرت غمامتُنا ولم يهطل مطر
والأرض عطشى والشجر
تبكي الحديقةُ والرمال
والحب والكلمات تبكي والظلال ..

عرّافة عبرت على كفي مخيطاً من ألم
سكنت ملامحها وجمّدها الندم
لاشيء .. قالت .. ريح تصخاب ودم
فوق الرصيف
تموت أوراق الخريف
وفي الأفق
يمضي الجواد وينطلق
ياسيدي
لاتطلع الأقمار في شمس النهار
والقلب أتعبه الدوار

نـــار

حنّا مينـه

الدنيا غائمة ، ونثار ثلجي خفيف يتساقط ، ومياه صلصالية في الأزقة خارج المطبعة ، وفي داخلها رجال يلفون رؤوسهم بشملاتهم ، وينفخون رؤوس أصابعهم كلما أحسوا بتجمدها ، لتطاوعهم في التقاط الحروف من المربعات الخشبية .

وعلى امتداد الزقاق ، المنحدر بمحاذاة بناية العابد ، من شارع النصر الى السنجقدار ، تنفتح الحفر في الأرض الترابية ، وتتجمع مياه الشتاء ، وتتعجن الوحول ، بحيث لم يبــق لـ « ابو الطفي » سوى الشريط الضيق اليابس

من هذه الأرض ، الواقع تحت نوافذ قبو المطبعة .. انطرح عليه آخر الليل، طويل الذقن ، قذر الشعر ، ممزق الثياب ، تبرز من شقوقها أطرافه المتورمة ، ولحمه المتقع ، الشبيه ببشرة وجهه الضاربة الى الزرقة .

وقف عديّ ، عامل المطبعة ، على رأس « ابو الطفي » وصاح به :

ـ يا أبو الطفي ! الثلج ! أنهض .. طمرك الثلج !

ـ . . . .

ـ يا أبو الطفي ! هيه ! الثلج !

ـ . . . .

فانحنى عديّ وأمسك به من كتفه وهزه ، لم يزد ابو الطفي على أن تأوه ، وارتعش ، وعاد فتكور ، وظل في غيبوبته .

وقال عدي في نفسه : « ابو الطفي لا يحس بالبرد ولا الحر » .. وبعد أن تأمله ملياً أضاف : « أبو الطفي سعيد بهذه الغيبوبة بلا شك ! » ، وانحنى مرة أخرى وهزه وصاح :

ـ أقول انك سعيد الآن ، أتسمعني ؟

ولم يأته جواب !

فقال عدي في نفسه : « ابو الطفي لا يسمع .. شارب الحشيش لا يسمع ! » ، وهزه للمرة الثالثة وصاح :

ـ من الأفضل ألا تسمع .. ابق غائباً ، ولكن ابق غائباً حتى النهاية .. فهمت ؟ ابق مخدراً ، حياً ميتاً الى نهاية حياتك .

ودخل عديّ المطبعة فجاءه يضع جرائد ، وبعد أن ازال الثلج عن رأس

«أبو الطفي» وصدره، غطاه بها، وتناول الحصى وثقل بها الجرائد، وعاد الى المطبعة.

كان قبو المطبعة منخفضاً، فوقف عدي في أول الدرج كأنه نسي شيئاً في الخارج، ثم استدار فأغلق الباب، وانحدر الى جوف القبو المستطيل المعتم، حتى اذا صار في منتصفه، زكمته الرطوبة الغضة، وملأت انفه رائحة الورق والحبر والغراء والزيت، ونتن جرذ او فأر ميت.

كان القبو معتماً، والرؤية غير ممكنة. ولهذا تدلت من بعض جوانبه، فوق صناديق الحروف، مصابيح تمكن العمال من تمييز أشكال الحروف الرصاصية الدقيقة التي فقدوا حدة ابصارهم في محاولة لاتنتهي، لجمعها صباحاً وتفريقها مساء، ثم جمعها وتفريقها، الى آخر العمر.

وعلى الجدران الملطخة بالحبر، ألصقت صور المرشحين للانتخابات النيابية، وفوق صناديق الحروف، بدت صور مقصوصة من الصحف، لفنانات في افلام دارجة.. وثمة صورة طفل اصقها احد العمال، وساعة جيب معلقة بمسمار، وفي موضع بارز، مواجه للصناديق، صور عمال اشتغلوا في هذا القبو وماتوا فيه، تحتها هذه العبارة: «شهداء المهنة!».

* * *

خلع عدي ثيابه وارتدى لباس العمل، وذهب الى الصندوق وهو يفكر بـ«أبو الطفي»، فقال له ابو العز، رئيس العمال ومرتب الجريدة:

ـ تأخرت ياعدي.

ـ لم اتأخر.. دخلت وخرجت.. اخذت بعض الجرائد وغطيت «أبو الطفي».

ـ أنا أقول تأخرت .. ولماذا تغطي « أبو الطفي » ؟ دعه يفطس .

ـ ألم يكن زميلنا يوماً ؟

ـ كان أو لم يكن .. أنا أقول : تأخرت !

فقال احد العمال :

ـ ابو العز لايلاحظ تأخرنا إلا في الصباح .

ـ ومتى تريد ان ألاحظه !

ـ في المساء .. حين نتأخر لأشغال طارئة ، مجانية .

وقال عدي :

ـ نحن نأتي مع الفجر ولانصرف إلا مع المغيب .

ـ ألا يرضيك هذا ؟

ـ لا يرضيني .

ـ أضرب .. أو قل هذا لصاحب الجريدة .

قال عدي :

ـ أتحسبنا نخاف ؟

ـ انت لاتخاف ، ولكني ، أنا أبو العز ، لا أخاف ايضاً ، تذكر ذلك ياعدي .

ـ لا حاجة لتذكيري ، أنت تعرف انني لا أنس .. اما أنت .. تذكر انك ،مهاتزلفت لصاحب الجريدة ، من العمال ، يجب ان تكون مع العمال لاضدهم .

ـ أفهم واجبي بدون هذا الكلام .

ـ تفهمه ولكن ..

ـ ماذا !؟

ـ انت تعرف !

ـ وانت تعرف أيضاً .. لسوف نتحاسب يا عدي .. بعد الشغل نتحاسب!

وقال عدي متحدياً :

ـ نتحاسب حين تريد .

* * *

في هذا الوقت ، كان محمد أبو السعود ، او الاستاذ محمد اختصاراً ، قد غادر ترام المهاجرين في ساحة المرجة ، وتوقف على الرصيف ليلقي نظرة على عناوين الصحف في الواجهات ، وإذ تذكر ان عليه ان يقرأ كل الصحف الصباحية ، وان يفض البريد ايضاً ، اغتم وتابع طريقه الى المطبعة .

كان فاتراً ، لا يستشعر رغبة في العمل ، وقد اعتاد ، مع الأيام ، ان يدع رغائبه جانباً ، ويعمل طائعاً ، وفي ذاته ينمو تململ عاجز ، مقهور ، لايجد سبيلاً للتعبير عن نفسه .

مرة واحدة ، وكان ذلك منذ سنوات ، بلغ تململه درجة التمرد ، فدخل على صاحب الجريدة ، وقال له بعد مقدمة اجتهد في جعلها عاطفية ، انه في وضع لا يستطيع معه الاحتمال اكثر مما فعل .

فوازنه صاحب الجريدة وقال :

ـ تهددني !؟

ثم سأله بلهجة اتهام :

ـ انت اشتراكي !؟

وبعد ان اخافه ، قال له بلامبالاة :

- تريد ترك العمل !؟ انت حر .. انا أدين بمبدأ الحرية .. ارجوك استعمل حريتك واترك العمل .

ولم يستعمل الاستاذ محمد حريته لأنه لا يستطيع ، وكان صاحب الجريدة يعرف ذلك .. تاجر الورق يعرف ذلك . وقد انقلب ، منذ ذلك اليوم ، تمرد الاستاذ محمد الى خضوع بائس ، فقد معه حتى الشعور بالحرية الشخصية السابقة ، ودخل مع عمله في عراك شرس ، على نحو مايفعل الكلب مع السلسلة المربوط بها الى شجرة ، ولازم هذا العراك اليائس الصامت نوع من احساس غامض بانـــه سجين ، وانه محكوم بقانون غير منظور ، غير عادل ، غير قابل للنقض ، فكان يشقى بسجنه مرة ، ويشقى لان باب السجن مفتوح ولا يستطيع الهرب، مرتين.

هذا الاحساس بمأساته كان يعاوده منذ ان يدخل المطبعة . وقد زادته سوءاً اليوم ، الصيحة الكريهة التي انطلقت من أقصى القبو :

- مواد !

تظاهر انه لم يسمع ، فالافتتاحية والتعليقات لم تصل من مكتب التحرير وهو يقرأ خبراً لم يبت في نشره بعد ، والصوت الملحاح لايفتأ يصيح :

- مواد !

وأجاب ابو العز محتداً :

- فهمنا !

وقال العامل :

- مواد !

وقال ابو العز بنبرة أقسى :

- فهمنا ! !

وسكت العامل ، وتابع الاستاذ محمد قراءة الخبر . كان يكره صاحب الصوت ، أو يكره ، بالضبط ، كلمة مواد . ولكن كرهه لم يمنع العامل المتعطل من العودة الى الصياح :

- مواد يا استاذ !

وقال الاستاذ :

- حلمك عليّ ، حلمك عليّ .

ورفع سماعة الهاتف يستعجل المواد من مكتب التحرير ، وما كاد يضعها حتى علا صوت آخر :

- م . . و ا . . د !

وضحك الاستاذ هذه المرة للنغمة الممطوطة ، وقص الخبر الذي كان يقرأه وقال :

- طيب ! طيب ! خذوا . . ها

ودفع اليهم ماتجمع عنده من أخبار ، واشعل سيكارة هي الرابعة هذا الصباح ، وانتقل الى خبر يحمل هذا العنوان « انتحر لضيق ذات اليد ! » .

كان مثل هذا الخبر لايثير اهتمام التحرير ، فهو من بضاعة دفتر الشرطة ، الا ان خبر اليوم بدا طريفاً ومفجعاً : « شوهد مصطفى بن محمد عزوز الملقب بصطو الحرستاني ، معلقاً في سقف بيته بتكة شرواله ، ولدى التحقيق تبين انه انتحر لضيق ذات اليد . وقد شرحت جثته وسلمت ، حسب الاصول ، الى اهله ، وادخلت بنته فوزية المستشفى الوطني لمعالجتها من الصدمة التي سببتها لها رؤية والدها متدلياً من السقف . . ونظم الضبط اللازم » .

عقب الاستاذ محمد على المنتحر ، وقد تخيله متدلياً في فضاء الغرفة ، اصفر

الوجه ،منذلق اللسان أزرق القدمين، وقال في نفسه: «اما كان يستطيع الانتحار في مكان آخر !؟» وقص الخبر واضافه الى خبر آخر صغير بعنوان «اللقمة الحمراء»، مفاده ان مرملة انهارت على بضعة عمال فقتلت اثنين منهم، وأدخل الباقون المستشفى قيد المعالجة، والحادث قضاء وقدر.

وجاءته المواد من مكتب التحرير، وبينها تصريح لجميل بـك رئيس الوزراء، عنونه صاحب الجريدة بنفسه على الشكل التالي «الحكومة تعلن تطبيق العدالة الاجتماعية !» والى جانب العنوان هـذه الملاحظة «حرف كبير ٦٠» !

كان تصريح رئيس الحكومة فضفاضاً، يملأ ثلاثة اعمدة، ولن يسمع الاستاذ محمد كلمة «مواد» حتى نصف ساعة على الاقل، وقد حـان الوقت ليوصي على فنجان قهوة، ويقوم بجولة بين العمال، متفقداً سير العمل.. وما كاد يصير بينهم حتى سمع العامل عبد اللطيف جرجوق يتكلم دون أن يرفع نظره عن مربعات الحروف:

- سمعتم !؟

- ماذا ؟

- لاشيء.

- ولكنك كنت تقول شيئاً.

- شاكر طلق امرأته.

توقف حمدي الطباع عن شد براغي الآلة الطابعة وقال:

- كذب !

- انا لا اكذب !

ـ انت تكذب كما تشرب الماء .

ـ غير صحيح . . اخباري موثوقة !

واضاف عامل آخر :

ـ . . . ومن مصادر مطلعة !

فقال قاسم السنهور وقد رفع رأسه عن صندوق الحروف :

الكلام في خصوصيات الناس لايجوز . . الاغتياب محرم دينا .

فرن صوت ساخر من الطرف المقابل للقبو :

ـ من اين لك هذا الورع ياشيخنا !؟

وصاح ابو العز ، مرتب الجريدة ، بعد ان استعاذ بالله ثلاثاً :

ـ خلصنا !

قال قاسم السنهور :

ـ ورعي قديم والحمد لله . . اما انت . .

فصاح ابو العز من جديد :

ـ خلصنا !

وقال العامل :

ـ انا لا اكش الحمام على كل حال .

وقال ابو العز :

ـ خلصنا !

وقال قاسم السنهور :

ـ كش الحمام أفضل من السكر .

فزعق ابو العز بصوت راعد :

ـ خلصنا ! خلصنا ! العمى ! ساعدنا نخلص من شاكر وام شاكر واخت شاكر ومتفرعاتها .

قالها وضرب صينية الترتيب الحديدية بقطعة خشبية كانت في يده ، فطن صوت حاد في فضاء القبو ، ترك دوياً في الآذان ، واذ ذاك انقطع الكلام ، ولم تعد تسمع سوى تكتكة الحروف وهي تجمع في الصفات او تنثر في المشبكات الخشبية .

* * *

وفي الخارج تواصل سقوط الثلج ، وتبللت الجرائد التي تغطي « أبو الطفي » ، وهبت ريح باردة على القبو ، فقال عبد اللطيف جرجوق وهو ينفخ اصابعه :

ـ لم نعد استطيع العمل .. متى تشعلون النار ؟

فقال ابو العز :

ـ لايوجد حطب

ـ ولماذا لا يوجد حطب ؟

ـ لانه لا يوجد حطب .

ـ وعلى ماذا نتدفأ ؟

ـ على الطقاطيق !

وضحك العمال ، وجحظت عينا عبد اللطيف وقال :

ـ الطقاطيق فن على كل حال .. عمر الزعني كان ينظم طقاطيق .

ـ عمر الزعني كان فناناً ..

وقال عامل مكملاً :

ـ .. وأنت بهيم !

فقال عبد اللطيف :

ـ لانني اعيش بين بهائم !

والتفت الى الاستاذ محمد وقال :

ـ عدم المؤاخذة استاذ !

فقال هذا :

ـ لاداعي للمؤاخذة !

وقال في نفسه « صدقت ! » .. اما ابو العز فقد انتهره :

ـ اشتغل بدون كلام وارفع لسانك عن صدرك !

كان عبد اللطيف طويلا ، نحيلا ، جاحظاً ، متخلعاً له ، فم مفتوح ابداً نصف فتحة ، يتدلى منه لسان كالطحال ، يستريح فوق شفة غليظة بشكل غير مألوف ، فاذا ضحك ، وهو يفعل ذلك دائماً ، ارتفعت شفته العليا الشبيهة بخط منحن فاستقامت ، وتدلت شفته السفلى حتى ليخيل الرائيها انها قطعة لحم داكنة ومستطيلة ملتصقة بفكه الاسفل ، ودارت عيناه الجاحظتان في وقبيها دورات سريعة ، غير خبيثة ، واهتز حاجباه الكثان تحت جبهته العريضة المنتهية بصلعة محدبة ، وارتخت يداه على جنبيه ، وفرك اصابعه الطويلة المعقوفة كالملاقط .

كانوا يلقبونه بالشاعر الشعبي غير المحبوب ، ولقبه خبيث منهم بكروان ، لأنه زعم أن كروان طلبت منه طقطوقة ، وقد تقبل اللقبين بغير اعتراض ، وتقبل تعريض « أبو العز » بغير احتجاج ، ولم يلبث ان قال :

ـ اسمعوا اليوم .. في التاسعة والنصف مساء .

ـ ماذا ؟

ـ طقطوقة جديدة .

فصاح ابو العز :

ـ اتركنا من طقاطيقك بحضرة الشاعر .. خلصنا .. صار الظهر !

فاهتز عبد اللطيف ، وبلع لسانه قليلاً ، ثم نسيه فانسل واستراح على شفته السفلى ، وقال من جديد :

ـ لا استطيع الشغل بدون نار .. مطبعة بدون نار ؟ برد .. أنا أبرد .. تجمدت .

قال ابو العز :

ـ لو تجمدت لخرس لسانك .

ـ وماذا يصير بحالي اذا خرس لساني ؟

ـ تموت !

وقال عدي :

ـ تصير من شهداء المهنة .

فعلق عبد الحميد الطباع قائلاً :

ـ عال .. سجاوني من شهداء المهنة إذن .. عندي تجمد في المخ .

فقال الفتى مناح :

ـ والمخيخ !

وقال عزت :

ـ والنخاع الشوكي !

وقال قاسم السهور :

ـ والبصلة السيسائية !!

وضحك الجميع بينا قال مناح ، الفتى الأشقر المراح :

ـ يتجمد فينا كل شيء الا شيء واحد .. انا مقبل على زواج !

فأجابه قاسم السنهور :

ـ ضع الذي تخاف عليه في بيت الفحم !

وقال عبد الحميد :

ـ واشعل فوقه النار !!

وقال مناح :

ـ سأنفذ وصيتكم يوم الخميس ، احفظوني من التجمد حتى يوم الخميس .

وضاق صدر ابو العز وارْبد وجهه . كان على استعداد لبلع شاربيه الكبيرين ، وحين يفعل ذلك معناه انه سيتعارك ، وسيقذف من يعارضه بالمصف الحديدي . وكان العمال يعرفون ذلك منه ويتحاشونه . يظلون يتجاذلون ، ويتضاحكون ، ويشكون من سوء وضعهم حتى يبلع شواربه ، فاذا فعل ذلك معناه النذير .

وها ينذر يبلع شواربه ، ومع ذلك توقف عبد اللطيف جرجوق عن العمل وقال بتصميم :

ـ لا استطيع مسك الحروف ، اصابعي لا تطاوعني ، تجمدت من البرد .

فصاح ابو العز مغضباً :

ـ البرد اليوم مثل كل يوم .. افرك اصابعك واشتغل .

ـ اليوم ثلج !

ـ ثلج او غير ثلج .. اشتغل .

قال عدي :

ـ كيف نشتغل بدون نار ؟ واذا مرضنا ؟

ورد ابو العز :

– واذا تأخرت الجريدة ! ؟

– لتتأخر !

قال ابو العز متذمراً :

– اسمع يا عدي ! قلت لك بعد الشغل نتحاسب ، ومعنى هذا اننـــا سنتحاسب .. انا المسؤول عن صدور الجريدة .. يجب أن تصدر في ميعادها .

– اذا كنت مسؤولاً عن صدور الجريدة فأنت مسؤول ايضاً عن تدفئة الذين يعملون في الجريدة .. هذا التوفير على حساب صحتنا لانرضاه .

زعق ابو العز :

– تحرض العمال !؟ اما قال لك صاحب الجريدة لا اريد حركات هنا ؟ هذه مطبعة .. مطبعة لا مصنع ! وهذه الصورة على صندوقك !

كانت صورة مناضل نقـابي معروف ، متوار عن الانظار ، مشكولة بدبوس على صندوق الاحرف الذي يقف وراءه عدي .. وقد احضرها ذات صباح ، وسحبها من صدره بعناية ، واراها للعمال ، وبعد أن طافت المطبعة كلها ، هي والجريدة التي تحملها ، اعادها الى صدره بنفس العناية ، واعداً بلصقها في ساحة المرجة ولو دخل السجن ، ثم صرف النظر ، لأمر ما ، عن المرجة ، واكتفى بتعليقهـا على صندوقه .

قال عدي :

– هذه الصورة ، يا ابو العز ، لاتضرك بشيء .. وكنت معتزماً رفعها ، اما الآن فسأبقيها .. انها ورقة ، ورقة لا اكثر ، ولكنها كبيرة القيمة بالنسبة لي ، وبالنسبة لنا جميعاً كعمال .

صاح أبو العز :

ـ انت تحرض العمال .. والصورة هذه للدعاية والتحريض ....

ـ وعلى ماذا أحرضهم ؟ وهل يحتاجون الى التحريض ؟ انهم لا يفعلون سوى الرضوخ ، ونقابتنا شكلية حتى الان .. انظر أبو الطفي ، كان عاملاً مثلنا وبعد ان شاخ صار في الشارع .. لم يصب بالسل كالآخرين ، ولكنه أدمن على الحشيش .. صار شحاذاً ومدمناً ، يغيب عن الدنيا حتى لا يحس بشيء .. انه لا يحس بالبرد ، ولذلك لا يتكلم .. اما نحن فنحس .. نريد ناراً .. وهذه المدفأة للنار ، لا للزينة ، ولا لخدع دائرة العمل والشؤون الاجتماعية .

قال عبد اللطيف جرجوق :

ـ هذه الدائرة مغشوشة خلقة .. نحن نشتغل بالسم .. الرصاص سم .. وهي توصي باعطائنا الحليب لمقاومة السم ، ولكن متى ذقنا الحليب ؟ نحن نذوق فقط سم الرصاص .

وقال عبد الحميد الطباع :

ـ ونذوق سم البرد .. تجمدنا من البرد .. كيف نعمل بدون نار ؟

وتوقف ابو العز عن ترتيب الجريدة ، وقال بلهجة انذار قاطع :

ـ كفى ! لا يوجد حطب ولا نار .. اسكتوا واشتغلوا بدون حطب وبدون نار .

قال عدي :

ـ لن نسكت ولن نعمل قبل النار .. نحن لا نستطيع ان نعمل بدون نار .

صر أبو العز بأسنانه وقال مهدداً :

ـ ستعملون بدون نار .. لا يوجد حطب .

وقال عدي :

- بلى ! يوجد .. هذه الصناديق الخشبية يمكن حرقها .. ثمنها ليس أغلى من صحتنا .. سأحرقها .. واشعل النار !

قالها وخطا نحو الصناديق الخشبية المركومة في اقصى زوايا المطبعة ، حاملا قضيباً حديدياً لتحطيمها .

ومن وراء طاولة ترتيب الجريدة صرخ به ابو العز مزمجراً :

- ارجع الى مكانك !

وتقدم عدي .

- ارجع الى مكانك !!

وتقدم عدي .

وفتح ابو العز فمه الكبير وبلع شاربيه .

وتقدم عدي .

وتناول ابو العز قضيباً حديدياً ثخيناً وسار الى لقائه .

وصاح العمال خائفين :

- يا ساتر !

وركض الاستاذ محمد وهو لا يدري ما يفعل .. كان يعرف بطش ابو العز ، وعناد عدي ، ويرى القضيبين الحديديين ، والعيون المشتعلة بالغضب ، كما يرى الذعر ، والكارثة المرتسمة وسط العتمة والقذارة والحقد المدمر ، لكنه كان يعلم ان ابو العز ظل صاحب الجريدة ، فاستيقظ في نفسه الثأر القديم الغافي ، وتمنى ان يقع شيء ما .. شيء ما يعيد الثقة إلى نفسه .

ووصل عدي الى الصناديق الخشبية ، ووقف ابو العز قدامها يمنعه ان يمد

يده اليها ، وتوقفت الآلة الطابعة ، وماتت معزوفة « تراك ! تراك » الرتيبة المملة ، وانحبست الانفاس .. الثلج وحده ظل يتساقط ، وظل ابو الطفي ، تحت النافذة ، في اغماءته ، وقهقه الموت من شق كبير في الجدار لايعرف احد متى صار .

وترك العمال صناديقهم وتوقفوا مدهوشين ، شاعرين انه آن الأوان لتصفية الحساب .. لم يعد شيء يجدي : لا التدخل ، ولا الصياح ، ولا الاستنجاد هاتفياً بصاحب الجريدة أو رجال الشرطة .

نار .. أو لانار .

وابو العز يبلع شواربه .

وعدي يرتعش فكاه .

والقضيبان الحديديان يضطربان ..

وصوت أصم ، مرعب ، غير منطوق ، يصيح :

ـ لاتمد يدك .

ونظرات صارمة تجيب :

ـ سأمدها .

ورفع أبو العز ساعده .. بدا القضيب في قمة ارتفاعه وهياجه ، وظل عدي ثابتاً ، محتفظاً بهدوئه .. ومضت ثانية ، اثنتان .. ثلاث .. ومد عدي يده اليسرى ، وتناول اول صندوق طاله وقذف به الى العمال ..

ولم يهو القضيب في يد ابو العز ..

وانسحق ، دفعة واحدة ، الرعب والصمت .

وانجرد العمال وراء عدي ، وبات على أبو العز ان يختار .. ان يقرر .

وتلاقت العيون .. تصادم الحقد بالحقد ، وارتجف ساعد وتهاوى ، ونبق الشارب الملوع .

وقال ابو العز أخيراً ، بصوت حاقد سام :

ـ لن ألوث يدي بدمك ياعدي .

وقال عدي :

ـ هذا ماعليك ان تفهمه من الأول .

وسقط قضيب على الأرض .. وسقط آخر ، واشتعلت النار في الموقد ، وتعالى اللهب ألسنة حمراء شيطانية ، وهرع الاحداث بأرغفتهم لتسخينها ، وتحرك ابو الطفي تحت النافذة ، واطل برأسه ينشد الدفء ، وعادت الحروف الى التكتكة .

وعادت كذلك الآلة الطابعة الى معزوفتها الجميلة ، والساخرة هذه المرة !

حول مؤتمر فلسطين في لندن

حسام الخطيب
— لندن

درج الاتحاد العام لطلبة العرب في المملكة المتحدة وإرلندا منذ سنوات على إقامة مؤتمر لفلسطين في الخامس عشر من أيار من كل عام يدعى فيه إلى الكلام متكلمون عرب بارزون ومتكلمون أجانب ممن لهم اهتمام مباشر بقضية فلسطين أو مشكلات الشرق الأوسط عامة. ومن بين الشخصيات التي عبّرت عن آرائها في مؤتمرات سابقة: توم ليتل وإرسكين تشلدرز، وأنتوني ناتنغ، وأثيل مانين.

وفي هذا العام عقد المؤتمر في دار (الكويكرز) وتم الاعداد له بالتعاون بين الاتحاد العام لطلبة العرب وبين مجلس تنمية التفاهم العربي

البريطاني Council For The Advancement of Arab - British Understanding وهو هيئة تألفت بعد حرب حزيران وتضم عدداً من الشخصيات البريطانية المهتمة بشؤون الشرق الاوسط وتعترف منشوراتها دائماً بمسؤولية بريطانيا في مأساة فلسطين، كما تعلن عطفها على الشعب العربي الفلسطيني الذي لا يصح أن تذهب قضيته هدراً. وبالرغم من أن مثل هذه المؤسسات لا يحكم عليها بما تعلنه فقط فان المسؤولين في مكتب الجامعة العربية في لندن والسفارات العربية واتحاد الطلبة العرب يحاولون الاستفادة من فرصة وجود هذه المؤسسة لإيصال الصوت العربي الى الرأي العام البريطاني الذي يعيش ضمن طوق محكم من الدعاوة الصهيونية. ومن هنا كان اهتمامنا بتسجيل الآراء الجريئة التي طرحت في المؤتمر سواء على لسان المتحدثين على المنصة أو على لسان بعض الافراد البريطانيين الذين علقوا على الكلمات وانصبت معظم تعليقاتهم على فضح الكيان الاسرائيلي الاستعماري ومهاجمة الصهيونية وإعلان تأييد الشعب العربي الفلسطيني في كفاحه الباسل:

وجدير بالذكر أن عدد الحاضرين من غير العرب في هذا العام كان كبيراً نسبياً خلافاً للسنوات السابقة. وطريقتهم في التعليق على الكلمات وفي إسكات بعض المعلقين الصهيونيين دليل على أن حقيقة اسرائيل الاستعمارية العدوانية اخذت تتكشف حتى في المعاقل التقليدية للصهيونية العالمية.

ولعل من الضروري التنبيه الى أن جميع الآراء التي قدمت كانت ذات طابع شخصي ولا تعبر بأية حال عن آراء الهيئات السياسية التي ينتمي اليها المتكلمون.

المتكلمون الرئيسيون :

١ — مايكل أدامز Michael Adams

مراسل (الغارديان) في الشرق الاوسط من ١٩٥٦ - ١٩٦١ .

زار المنطقة المحتلة مؤخراً عدة مرات وكتب مقالات جريئة جداً حول المقاومة الفلسطينية ووحشية سلطات الاحتلال الاسرائيلية في معاملة الشعب العربي الفلسطيني .

٢ — دنيس ولترز Dennis Walters

نائب في البرلمان البريطاني ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في حزب المحافظين . قام بزيارات عديدة للأردن والمنطقة المحتلة ، ومنذ ذلك الحين أخذ يتصدّى للدعاوة الصهيونية بجرأة واضحة . (على اساس شخصي) .

٣ — ايريك رولو Eric Rouleau

محرر شؤون الشرق الاوسط في جريدة (لوموند) .

٤ — السيدة بيجي كرين Peggy Crane

شغلت مناصب مهمة في لجنة العفو الدولية ، وفي لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة .

٥ — السيد باسل عقل : نائب رئيس مكتب جامعة الدول العربية في لندن ، وهو من ابناء فلسطين .

٦ — وكان رئيس المؤتمر النائب العمالي إيان غيلمور Ian Gilmour وهو من اوائل الذين كتبوا بجرأة عن جرائم السلطات الاسرائيلية في الارض المحتلة .

كلمة مايكل أدامز :

استهل مايكل أدامز كلمته بالتأكيد على الدور الذي يمكن ان يقوم به الأفراد لإيضاح القضية الفلسطينية في بريطانيا بعد عشرين سنة من تضليل الدعاوة الصهيونية . وبدأ بنفسه فاعترف بأن معلوماته عن القضية الفلسطينية قبل

حزيران ١٩٦٧ لم تكن كافية . ولكنه بعد ان زار المنطقة المحتلة وعاش بين الفلسطينيين وشهد فظائع الاحتلال الصهيوني توصل الى قناعات جديدة .

واول هذه القناعات ان اسرائيل لم تقم في الارض العراء بل قامت على انقاض مأساة شعب صغير ظل عرضة للاضطهاد خلال العشرين عاماً الفائتة ولم يصغ له احد إلا بعد ان رفع صوته بالمقاومة العنيدة .

إن مايكل ادامز معجب بالفدائيين الفلسطينيين ، مؤمن بحقهم ، بل مؤمن بتحقيق اهدافهم مهما طال بهم الزمن ، وهو يؤكد اننا لا نسمع إلا القليل عن بطولاتهم ، وان أسرائيل والصحافة الغربية تحاول دائماً التقليل من حصيلة عملياتهم وهذا مناقض للواقع في رأيه . ثم يؤكد ان الناس لا يعرفون إلا القليل القليل عن نوع آخر من المقاومة في الأرض المحتلة هو المقاومة السلبية للشعب العربي الفلسطيني . ويقول إن المقاومة اليومية التي يقوم بها الفرد الفلسطيني العادي ضد حكم ظالم وغاشم هي البطولة الحقيقية . ويقول ادامز :

« لقد زرت الأرض المحتلة وأجريت اتصالات مع أفراد من مختلف الأوساط وتأكدت بما لا يقبل الشك أن الشعب العربي الفلسطيني مصمم على المقاومة بالرغم من الأساليب المتنوعة التي يستخدمها الصهيونيون لاخضاعه . وقد عدت من فلسطين منذ أسابيع ولم أشهد أي شيء يوحي بأن هذا الشعب الباسل يمكن أن يضعف في المستقبل . »

ويذكر ادامز انه منذ مدة قصيرة تسلم حقيبة من البريد المهرب من الأرض المحتلة وفيها رسائل من المقاومين الفلسطينيين تبشر بروح معنوية عالية وتصميم شديد .

واكد ان رحلته الأخيرة الى الأرض المحتلة جعلته اكثر تفاؤلاً وان من

يعيش بين افراد الشعب العربي الفلسطيني يزول عنه كثير من الضيق والتشاؤم لأن صمود هذا الشعب ليس له مثيل .

ومن خلال تجربة المتحدث الشخصية لم يتح له ان يعيش بين أفراد شعب مناضل في مثل هذا المستوى من الروح العالية منذ خمس وعشرين سنة حتى اليوم .

« لم تكن جولتي في الأرض المحتلة مفعمة بكآبة بل كانت فرصة لرفع معنوياتي » .

ولم ينس ما يكل أدامز أن يتحدث عن مسؤولية بريطانيا في نكبة فلسطين ، منذ وعد بلفور حتى اليوم . وأكد كما أكد غيره من المتحدثين البريطانيين أن سياسة بريطانيا إزاء المسألة الفلسطينية متناقضة مع المصالح البريطانية ...

ثم ذكر بأسف أن السياسة العربية عامة تجاه القضية الفلسطينية كانت تفتقر إلى التخطيط والتنسيق ، وأنها أعطت الصهاينة دائماً فرصاً للانقضاض السياسي والدعائي ، ولكنه أشار إلى نقطة هامة هنا ، وهي ان اضطراب السياسة العربية يعطي للخارج فكرة مناقضة للنهضة الشاملة في الأقطار العربية ، فقد كان البناء الداخلي يجري في عدد من الأقطار العربية على مستويات مختلفة (وقد ذكر أمثلة لذلك مما شاهده بنفسه) .

وذكر ان حرب حزيران كانت ضربة قوية لحركة البناء الداخلي العربية وألح على ضرورة الاستمرار في بناء النهضة الصناعية والزراعية .

ولم يفته أن يؤكد ان حرب حزيران حولت القضية الفلسطينية من قضية محلية الى قضية ذات أبعاد عالمية واضحة ، وأنها أثبتت بوضوح كامل نزعة اسرائيل التوسعية .

وعني أدامز اكثر ما عني بالجانب العملي من الموضوع وقدم نصائح نوعية لأنصار القضايا العربية وأوضح لهم بعض الوسائل المجدية في مقاومة الدعاوة الصهيونية .

وقد اعترف أولاً بأن الصحافة البريطانية تنشر أسوأ ما تستطيع عن العرب وأفضل ما تستطيع عن اليهود . وشكا من أن الصهيونيين يقفون بالمرصاد لكل من يقول الحقيقة ويرمونه بتهمة اللاسامية ، وهي تهمة مضحكة في رأيه وتحمل في ذاتها تناقضات عجيبة . ان الصهيونيين يحاربون دعائياً عن طريق الاتهامات لا عن طريق المناقشة العقلية .

ولكنه لاحظ في الوقت نفسه ان الدعاوة الصهيونية أخذت تنكشف بعد حرب حزيران ، إلا ان مقاومة هذه الدعاوة تحتاج الى جهود هائلة فردية وجماعية . وقال للناس : اكتبوا للصحافة وعلقوا على المقالات وأشعروا كتابها أن هناك من يراقبهم . لا تيأسوا اذا لم تنشر رسائلكم وتعليقاتكم اليوم ، وثابروا . ان المحرر يستطيع ان يغفل رسالة أو اثنتين ولكنه لا يستطيع أن يغفل عشرين رسالة . وفي مجال الاتصالات الشخصية افتحوا مجالاً للحديث عن القضية كلما سنحت الفرصة . ان الحق يحتاج الى دعم مهما كان واضحاً .

ولكن ماهو الحل في النهاية ؟ هل هناك امكانية لتعايش من أي نوع ؟ هل يمكن ان نطالب العرب بالتعايش وحقوقهم مغتصبة ؟ ليس من حل قريب واضح في ذهن مايكل أدامز ، ولكنه مؤمن بأن الزمام هو بيد الشعب العربي الفلسطيني ، ومن هذا الشعب سوف يأتي الحل . ان بعض الناس يطالبون اسرائيل بالتسامح باعتبارها منتصرة ، ولكنه هو يرى ان هذه الصفة تتوافر في التاريخ العربي بخاصة . وقد ذكّر المستمعين بمروءة

صلاح الدين التي كان لها دورها التاريخي في تقويض الصليبيين من الداخل . وقال إنه خليق بالعرب حين يصبح النصر في كفتهم ان يتذكروا عظمة تاريخهم .

كلمة دنيس ولترز

منذ البداءة أعلن ولترز انه سينظر الى القضية من زاوية المصلحة البريطانية . ثم تساءل : لماذا نجتمع في الخامس عشر من ايار منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ؟ لماذا يوجد لاجئون في كل مكان حول الارض المحتلة ؟ لماذا فقد الفلسطينيون وطنهم وجنسيتهم ؟

لأن إسرائيل موجودة وفلسطين غير موجودة .

لماذا يحارب الفلسطينيون ؟ لماذ ينضمون الى العمل الفدائي ؟

لأنهم لن يطيقوا الصبر بعد ان جردوا من جميع حقوقهم وعانوا من الاضطهاد والظلم والتشريد ماعانوا .

ولكن اين تقع مصلحة بريطانيا ؟

هل من مصلحة بريطانيا ان تغلق قناة السويس ؟

هل من مصلحة بريطانيا والغرب ان يجد العرب انفسهم مسوقين بالتدريج لأن يولوا ظهورهم للغرب ويقطعوا علاقاتهم مع دوله بالتدريج .

هل من مصلحة بريطانيا ان ينقطع عنها بترول الشرق الاوسط نتيجة سياستها المعادية للعرب ؟

وانتهى ولترز من هذه الاسئلة الى التأكيد على ان سياسة بريطانيا تجاه العرب يجب ان تتغير تغيراً اساسياً لأنها غير مستوحاة من المصالح البريطانية بل

ناجمة عن الضغط الصهيوني من جهة وعن الارتباط بعجلة السياسة الأمريكية التي مازالت توجه الضربة تلو الضربة الى مصالح الغرب بسبب تأييدها الكامل للصهيونية من جهة اخرى ، بل ان ساسة امريكا يضحون بمصلحة امريكا من أجل ان يكسبوا الصوت اليهودي في الانتخابات . وذكر ان هناك أقلية ضئيلة من الامريكيين تدرك ذلك ولكن صوتها غير مسموع ويصعب ان يسمع في مدى قريب . ولذلك ، لا يصح ان تنتظر السياسة البريطانية حتى يتم تعديل أساسي على السياسة الامريكية ، بل ان على بريطانيا ان تبحث عن مصلحتها وان تنفصل عن السياسة الامريكية المتميزة . ثم اشار الى قرار مجلس الأمن حول القدس والذي تم على اساس مشروع بريطاني واعتبره مثالا لما يمكن ان تقدمه السياسة البريطانية إذا استقلت عن السياسة الامريكية !!

وبعد ذلك انتقل (والترز) الى الحديث عن الجانب الاخلاقي في المشكلة . واكد ان بريطانيا لا تستطيع ابداً ان تتنصل من مسؤولياتها في خلق المشكلة الفلسطينية ابتداء من وعد بلفور الذي غرس بذور الوجود الصهيوني في فلسطين الى انتهاء الانتداب سنة ١٩٤٨ ، دون تحقيق اي من شروط الانتداب التي نصّت عليها قرارات عصبة الامم ، بل دون تحقيق جزء اساسي من وعد بلفور ذاته ؛ وهو ذلك الجزء المتعلق بعدم الإضرار بالحقوق القومية للجماعات غير اليهودية في فلسطين . وهكذا فان بريطانيا لا تستطيع ابداً أن تغسل يديها من المآسي التي سببتها المشكلة ، لأن هذه المآسي تضرب جذوراً لها في صميم المسؤولية البريطانية عن فلسطين اثناء الانتداب .

أما المقاومة الفلسطينية فهي في رأيه حركة مشروعة وبطولية ويجب تأييدها تاماً كما تم تأييد حركة المقاومة الفرنسية (الماكي) اثناء الحرب

العالمية الثانية . ومن الناحية القانونية الخالصة لايحق لاسرائيل اعتبار أعمال المقاومة الفلسطينية خرقاً لاتفاقيات الهدنة لأن أعمال المقاومة تجري في ارض محتلة ويقوم بها ابناء الارض انفسهم .

وتساءل بعد ذلك عن سر قوة (اسرائيل) ، واظهر انها مدعومة دعماً مطلقاً من قبل الصهيونية في جميع انحاء العالم ، ولكنه اكد بوضوح وحماسة ان الصهيونية لايمكن ان تستمر .

« لقد رأينا نشوء الصهيونية وتأسيس دولة اسرائيل . ولسوف نرى انقراضها وتلاشيها في طيات التاريخ . » الا انه يعتقد ان ذلك لن يتم في المدى القريب ولا المدى المتوسط .

وابدى المتحدث ملاحظة قيمة بالنسبة للمقاومة الفلسطينية فقال : ان رجل المقاومة الفلسطينية اثبت انه موجود اكثر من الاسرائيلي الذي يحتمي في ظل دولة منتصرة . ان اسرائيل لاتعرف حدودها ولامستقبلها وليس فيها من هو متأكد من وجوده . ان الاسرائيليين يعيشون بين تيارين من الطموح بالتوسع وعدم التأكد من وجودهم في وقت واحد .

وعلق المتحدث على موقف اسرائيل بعد حرب حزيران حيث كان بامكانها - في رأي كثير من المراقبين الغربيين - ان تتقدم بعرض يدل على التسامح ويؤمن شيئاً من مطالب الشعب العربي الفلسطيني ، وقال ان اسرائيل كشفت عن رغبة في التوسع لارغبة في حل المشكلة . وكانت اولى بوادر هذه الرغبة اقدامها على منع الفلسطينيين من العودة الى الضفة الغربية ووضعها العراقيل في وجه المشروعات التي قامت بها الهيئات الدولية لتجميع الأسر العربية .

لقد طغى صوت المتطرفين الصهاينة على صوت العقل والاعتدال وأخضع العرب لموجة جديدة من العنف والعذاب بما تضمنته من نزوح جديد عن أرضهم. إن اسرائيل تريد لنتائج الحرب أن تكون أمراً واقعاً سواء أمام الرأي العالمي أم في المنطقة نفسها. وهذا ما لن يكون. ان الفلسطينيين الآن دفعوا الى أبعد مما يمكن ان يحتمله إنسان. وان لديهم تصميماً عنيداً على أن الكيان الفلسطيني هو فوق كل اعتبار آخر. وقد أصبح رجل المقاومة الفلسطينية الرمز الحي للضمير الفلسطيني.

ومن هنا كان خطأ الإسرائيليين الذين يتوقعون ان يجنوا ثمار النصر كاملة كأي منتصر. ان واقع إسرائيل نفسه غير سوي، ولابد أن تتجلى أمام اليهود هذه الحقيقة، ان اليهود أقاموا دولة معلقة معتمدين على أمريكا والصهيونية العالمية. ولكن هذه النظرة قاصرة، لأن اسرائيل أصبحت كياناً غريباً عدواً في وسط العالمين العربي والاسلامي. وهي لن تحصل على السلام عن طريق الانتصارات الحربية، **وحتى لو توصلت الى إكراه دولة عربية أو اكثر على قبول الصلح فلن يستتب لها الأمر لأنها تواجه الشعب العربي بأسره لا حكومات معينة فقط».**

وحين يأتي المتحدث الى ذكر الحل الذي يراه يؤكد على أن بين الطرفين العربي والاسرائيلي هوة واسعة. وحتى لو تمكنت المساعي الدولية ان تردم جزءاً من هذه الهوة فلن تنتهي المشكلة ما لم يعط الشعب العربي الفلسطيني مطـــاليبه الأساسية. وهو يستعمل كلمة مطاليب بدلاً من كلمة (حقوق) لأن حقوق الشعب الفلسطيني واضحة وصريحة وتتناقض تناقضاً أساسياً مع الوجود الصهيوني

في فلسطين . وفي رأيه ان الحل المنشود لن يكون ناجعاً ما لم تتم مستلزمات كل من الحق الانساني والواقعية السياسية جنباً الى جنب .

كلمة ايريك رولو :

حاول رولو ان يناقش السياسة الاسرائيلية في ضوء الوقائع الملموسة والتصريحات والبيانات ، وانتهى الى ان السياسة الاسرائيلية حققت نجاحاً باهراً في المجال الدولي ومنيت باخفاق ذريع في المجال المحلي .

فعلى المجال الدولي استطاعت ان تكسب الرأي العام الى جانبها وذلك بأن ربطت بين اضطهاد النازيين اليهود والمشكلة الفلسطينية ، وهو ربط غير وارد بل يحمل تناقضاً داخلياً ، ففي حزيران ١٩٦٧ كان معظم النازيين واللاساميين يناصرون اليهود لا العرب ويتمنون ان ينتصر اليهود ويغادروا أوروبا نهائياً الى أي مكان آخر في العالم .

أما في المجال المحلي فقد كان اخفاق السياسة الاسرائيلية كاملاً تجاه العرب ، والسبب واضح ، فالسياسة الاسرائيلية مبنية على المبادىء الصهيونية ، وهي مبادىء لا يمكن ان تجد لها أي قبول عند العرب لأنها تتعارض تعارضاً رئيسياً مع مصالح الشعب العربي بعامة والفلسطينيين بخاصة .

ماهي أهم هذه العناصر :

١ – فلسطين أرض الميعاد .

٢ – اقامة دولة يهودية في فلسطين بحجة وجود دولة سابقة قبل ألفي سنة .

٣ – القفز من امتلاك اليهود لبعض اراضي فلسطين الى اقامة سلطان سياسي لهم .

٤ — اليهود هربوا من المانيا، وهم بحاجة الى وطن، وفلسطين هي الحل.

ويناقش رولو هذه النقاط ويجد أن الرد عليها متوافر بل يذكر الفجوات المنطقية في هذه الحجج الصهيونية، ويؤكد ان المقدمات في هذا المنطق لاتقود الى النتائج ويعترف بأن اليهود الصهاينة لايستطيعون ان يعيشوا بين ظهراني العرب.

وينتقل بعد ذلك الى المراحل التي مرت بها السياسة الاسرائيلية.

آ — حتى سنة ١٩

كانت سياسة الصهيونيين مبنية على تهجير الفلسطينيين من ارضهم والتوصل الى ذلك بالارهاب والمذابح الجماعية. وقد انتصر هذا الاتجاه على كل اتجاه آخر بين اليهود في فلسطين، وانتهى الى اخفاق السياسة الاسرائيلية في مواجهة ابسط مطالب الشعب العربي الفلسطيني.

ب — من ١٩٤٧ — ١٩٦٧

استمرت السياسة الاسرائيلية السابقة ولم تخط أية خطوة باتجاه يدل على رغبتها في التفاهم.

وانتهت هذه المرحلة بمعركة السويس.

ويذكر (رولو) مراراً بأن الأقلية الاسرائيلية (المعتدلة) لم يتح لها أبداً أن تصل الى أي من مراكز السلطة. ويعطي مثالاً على ذلك تنحية (موشي شاريت) من وزارة الخارجية حالما بدرت منه بوادر التعقل. ويؤكد ان خط بن غوريون هو الخط السائد حتى الآن في السياسة الاسرائيلية، وأن اشكول لم يستطع الا ان يتبع هذا الخط.

ولكن ماهي عناصر سياسة بن غوريون ؟ لقد كان جواب اسرائيل على المساعي الدولية واحداً :

١ - لايمكن إعادة أي شبر من الأرض للعرب . فكل شبر تخسره اسرائيل يهدد الدولة بالانهيار وهذا نوع من الهوس يسود في الأوساط الرسمية والشعبية الاسرائيلية في رأي رولو .

٢ - لاعودة للاجئين .

٣ - الوضع القائم هو منطلق كل مداولة .

ولكن الوضع القائم كان دائماً لمصلحة اسرائيل . وكانت السياسة الاسرائيلية تبعاً لذلك تنطلق من موقع جيد الى موقع أجود . وهكذا في سنوات ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ . ومن الطبيعي أن يكون تثبيت الوضع القائم أهم عند الاسرائيليين من احلال السلام ، يساعدهم على ذلك أن العرب موجودون دائماً في وضع لايتيح لهم قبول الانطلاق من سياسة الأمر الواقع .

٤ - العرب لايفهمون سوى منطق القوة . وقد كان هذا المبدأ الأخير هو محرك السياسة الاسرائيلية في المرحلة الأخيرة .

جـ - سنة ١٩٦٧ ومابعدها :

سجلت أزمة العقبة انتصاراً ساحقاً للمتطرفين الصهاينة . وفي رأي المتحدث أن الدعاوة العربية غير المسؤولة أسهمت في ترجيح كفة المتطرفين . ويستشهد بتصريحات الشقيري خلال الأزمة . ويروي أن نصف اعضاء الوزارة الاسرائيلية صوتوا ضد الحرب في ٢٨ أيار ولكنهم تراجعوا بعد ذلك [١] .

(١) يمكن للمرء أن يتساءل هنا : هل كانت مسألة الحرب مرهونة بموافقة الوزارة الاسرائيلية ؟

ثم ينتقل رولو الى الطرف الآخر ويؤكد ان العرب لم يريدوا حرب حزيران . ويروي ان اسحاق رابين كان يعلم ذلك ، ويحلل بعد ذلك الموقف العربي فلا يرى مايدل على مظاهر الحرب إلا القليل في العواصم العربية ، بل يذكر ان التصريحات الرسمية في معظم العواصم العربية لم تكن توحي بنيـة الحرب ، ثم يذكّر بتقارير القيادة العربية المشتركة التي انكشف جزء منها قبل الحرب وفيها نص صريح على عدم وجود الاعداد الكافي للحرب . ثم يسردفحوى مقابلات متكررة له مع بعض القادة العرب البارزين قبل الحرب وكلها تدل على أن الحرب لم تكن في الاذهان ، بل يشير الى ان اسرائيل تلقت تأكيدات كافية بأن العرب غير مقبلين على الحرب ، ولكنها صمّت آذانها عن ذلك .

ولكن لماذا ارادت اسرائيل الحرب ؟

في رأيه ان اغلاق خليج العقبة كان هزيمة سياسية لاسرائيل ولم يكن هزيمة اقتصادية . لأن ٥ ٪ فقط من الاقتصاد الاسرائيلي يعتمد على خليج العقبة . ثم إنه باغلاق العقبة وعودة القوات المصرية الى سيناء انتهت جميع المكاسب التي احرزتها اسرائيل سنة ١٩٥٦ .

ولذلك قررت اسرائيل ان تصم آذانها عن المساعي الدولية التي كانت تبذل (وفي رأيه ان الفرصة في ذلك الوقت بالذات كانت متاحة لنوع من أنواع التسوية) لأن سياسة اسرائيل لاتتضمن التخلي عن أي مكسب ، وفي التسوية لابد من التخلي ، وأي تخل على أساس التسوية يتعارض مع هدف اسرائيل الأساسي وهو اخضاع الشعب العربي .

د ـ بعد عدوان الخامس من حزيران :

هنا دخلت اسرائيل في مرحلة من التناقض واضطراب وجهة النظر ،

فقد وعدت أولاً بعدم اجراء تغيير في الأراضي المحتلة بعد حزيران ، ولكنها سرعان ما نفذت اجراءات ضم القدس ثم تبع ذلك اجراءات ادارية اخرى. وكان يتنازع هذه السياسة تياران يقف على رأس الأول دايان و ألون ويتزعم الثاني (أبا إيبان) ولكن الغريب ان التيارين يتبادلان المواقع وليس في سياستها عنصر ثابت. (يحلل رولو هنا تصريحات دايان المختلفة ويظهر ما فيها من تناقض).

وفي النهاية ماهو الحل :

يرى رولو أنه ما من قوة تستطيع ان تجبر أمتين متحاربتين على توقيع معاهدة صلح او تبادل سفراء.

وكل ما يستطيعه مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة هو المطالبة بانهاء الأعمال الحربية.

لقد نصت قرارات هيئة الأمم المتحدة على انه لايجوز إلحاق اراضي بالدولة المنتصرة نتيجة لعمل حربي ، وهو قرار ينطبق على القدس ومع ذلك ألحقتها اسرائيل.

وبعد قرار ٢٢ تشرين الثاني لم يجد شيء على الموقف .

وإذاً فالقتال مستمر .

كلمة بيجي كرين :

أكدت بيجي كرين ان النزاع لم يعد محلياً وان خطورته تتناول العالم بأجمعه . ولكن حرب حزيران دلت على ان كلا من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لايريدان مواجهة مباشرة ويرغبان في الاستعانة بهيئة الأمم المتحدة لتسوية الخلافات .

على أن هيئة الامم المتحدة لاتملك القدرة على منع الحروب المحلية من الوقوع ولكنها تستطيع العمل على وقف الحرب بعد اندلاعها .

وفي رأيها ان الضغط العالمي وهيئة الامم معاً استطاعا ان يوقفا اسرائيل وان يظهرا خطأ مبدأ الاعتماد على قوة السلاح دون القانون .

ثم حللت معنى قرار هيئة الامم المتحدة (٢٢ تشرين الثاني) واكدت على ضرورة تعاون جميع الاطراف من اجل تسوية عامة ، كما (تلطفت) بالاعتراف بوجود مشكلة لاجئين ورأت أن الجميع يجب ان يتعاونوا لحل هذه المشكلة (بتوزيع اللاجئين بين الاطراف المختلفة !!) كما اكدت ان الحرب سببت الأذى للطرفين !

وقد عكست السيدة كرين منطق الامم المتحدة المعتمد على التلفيق واللفلفة القضايا وارضاء القوي على حساب الأضعف ، وكان كلامها يفتقر الى العنصر الاخلاقي والادراك السياسي اللذين وضحا - بشكل متفاوت - في كلمات المتحدثين الآخرين .

المتكلمون العرب :

كان في الحاح كل من رئيس اتحاد الطلبة العرب ونائب رئيس مكتب الجامعة العربية على شرعية المقاومة الفلسطينية والاشارة المتكررة الى بطولة فدائيي الفتح أثر طيب في نفوس المستمعين .

* * *

تعليق عام على المؤتمر :

١ - كان الموضوع الاساسي للمؤتمر الاجابة على السؤال التالي : حرب ام سلم في الشرق الاوسط ؟

ماهو الحل بعد عشرين سنة من انهاء الانتداب ؟ ولم يستطيع اي من المتحدثين الاشارة الى نقاط محددة في اي حل مقترح ، وا كتفوا بالعبارات العامة والتمنيات ، وانفرد واحد منهم - وهو ابوبك رولو - بالنص صراحة على ان استمرار القتال هو الاحتمال الواقعي الموجود حالياً ، ولكنهم اتفقوا ضمناً على ان المبادرة من اجل اي حل سياسي او سلمي او صلح او تسوية - او غير ذلك من التسميات - إنما تقع في ايدي الصهاينة لا العرب ، وان الصهاينة هم الذين لايريدون اي حل لان الحل سيعني تخليهم عن المكاسب الهائلة التي حصلوا عليها بعد الحرب ، وقد نجحوا في ايهام العالم الغربي برغبتهم في السلم .

وهذه الحقائق تضع العربي امام اختيار واحد فقط : وهو الاستعداد والايمان بان المواجهة المصيرية هي السبيل الوحيد الى الحياة .

٢ - كانت الآراء التي قدمت في منتهى الصراحة والوضوح لا من حيث تأييد الحق العربي في فلسطين بل من حيث تفنيد الدعاوة الصهيونية وادانة الفكرة الصهيونية ومبادئها الاساسية واثبات حقيقة اسرائيل العدوانية . وهذه بادرة طيبة تجد لها بعض الصدى في الصحافة الغربية الآن .

٣ - مع التأكيد على مسؤولية بريطانيا في خلق المشكلة الفلسطينية وفي مأساة الشعب العربي الفلسطيني كان هناك اصرار واضح على تعارض السياسة

البريطانية مع مصالح بريطانيا في المنطقة وتفسير هذا التعارض بالنفوذين الصهيوني والأمريكي .

والسؤال الآن هل يمكن أن تستمر سياسة دولة كبرى مثل بريطانيا في مثل هذا الخطأ ، ان صح هذا القول ؟

في رأينا أن بوادر التغير في السياسة البريطانية ضئيلة جداً ان لم تكن معدومة ، ويبدو ان النفوذ الصهيوني والهيمنة الأمريكية مستعدان لاجتثاث أية محاولة للتغير بمجرد ظهور أية بادرة .

٤ ــ أجمع المتحدثون على نقد السياسة العربيــــة وقد ترددت صفة (التخبط) على ألسنة جميع المتكلمين ، كما أن الدعاوة العربية نالت نقداً كافياً من المتحدثين .

ولا يملك المرء لدى سماع هذه الانتقادات سوى أن يتذكر أنه لن يفيدنا أن يكون العالم كله معنا ان لم نكن مع انفسنا .

٥ ــ يبدو أن تهمة (اللاسامية) أصبحت مجالاً للسخرية في أوروبا ، فلقد أظهر المتكلمون ديماغوجية الصهاينة في استغلال هذه التهمة ، حتى كادت تصبح اللاسامية صفة كل من يحاول أن يقول الحق في قضية فلسطين . وقد بيّن رولو أن اللاساميين هم الذين يؤيدون الكيان الصهيوني في فلسطين لكي يتخلصوا من اليهود كما بيّن رئيس المؤتمر (إيان غيلمور) خلو هذه التهمة من أي معنى جدي .

٦ ــ على أن أهم ما في المؤتمر على الاطلاق هو هذه النظرة الجديدة الى القضية الفلسطينية ، اذ أصبحت قضية شعب مشرّد مصر على العودة الى دياره

المغتصبة ، وهو يقوم بأعمال مقاومة بطولية في وجه عدو غاشم . وهذه الصورة تخالف تماماً القضية السابقة التي تتلخص في مواجهة دولة صغيرة واحدة لسبع دول أو ثلاث عشرة أو أكثر .

ان المرء يشتم هذا الفهم الجديد في كثير من التعليقات التي ظهرت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وهي ورقة لصالحنا فهل ترانا نحسن استغلالها ؟

ديوان الطرماح

تحقيق : د. عزة حسن

ديوان واحد من كبار شعراء العصر الاموي الذين ضاعت آثارهم ، وقد عثر على مخطوطة هذا الديوان ، وحققت مؤخراً . وستصدر قريباً في طبعة جميلة .

منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق

الفارس الأقرع

« مسرحية في ثلاثة فصول »

نواف أبو الهيجاء

الفصلان : الثاني والثالث

الفصل الثاني : (١)

المشهد الأول

(ضوء احمر باهت .. الظلال في زوايا المسرح سوداء .. موسيقى هادئة حزينة ، وصوت العجوز يرافقها عميقاً حادئاً مهزوزاً مؤثراً)

صوت العجوز ـ كبالع الموسى اصبحت ،
ان سكت انفجرت
وان تكلمت هلكت .
تكبل الأفواه والعقول .
لاأملك غير الدموع اذرفها ،
وكلمات الرثاء انثرها :
زهوراً ذابلة على الجثث المتناثرة
في الصحارى .. في السهوب ..
على الشوك والحصى ، والجبال ..
بدمائكم احبتي .. أولادي
كتب الغازي أنشودة النصر
وكرع كؤوس النشوة المباغتة ..
على خطوط الرمال سأكتب :
ماذهب غير الصابر كالجمال ،
ماقتل إلا الوتد الحر ،

(١) نشر الفصل الأول من هذه المسرحية في عدد المعرفة الأخير (العدد ٧٦ حزيران – يونيو ١٩٦٨) .

ماصمد غير البائس ،
ماصد الغزوة الا ابن الأرض وحارثها .
مع نسيم الريح سأنشد ،
قبضتي تلوح في الهواء ، مشدودة
على كمشة من تراب الأرض
انثرها فوق الأجساد المدماة ،
فوق الظهور مطعونة بحراب صدئة .
مع ملاك الصبح سأرتل الرثاء
والعزاء .

أنا المكبل المصفود .. يداي
مفتوحتان للرياح ، وقدماي
مغروستان كجذور اشجار ،
السنديان ، في باطن الأرض ..

(ظلام ..... وهدوء)

المشهد الثاني:

(ضوء أحمر يغمر المسرح .. يختلط باللونين الاخضر والأصفر . باب جانبي مواجه للجمهور . ثلاثة جدران . الى اليسار باب مفتوح . مقاعد مخملية . طاولة كبيرة في الوسط محاطة بمقعد طويل نصف دائري ، تجلس عليه امرأة جميلة في ثياب حريرية .. باهظة التكاليف . السيدة هي زوجة شقيق مستوها . تدخل فوراً من الباب الجانبي شابة جميلة . يبدو من ملابسها انها وصيفة . عقصت شعرها ، تحمل في يديها صحناً كبيراً مملوءاً بالبرتقال)

الوصيفة – وهكذا ، ياسيدتي ، جلبوها الى الساحة !

سارينا – (وهي ترى الصحن امامها) ان هي الا خائنة ياستيلا (تلتقط برتقالة) أين السكين ياستيلا ! ؟

الوصيفة – (وهي تسرع الى الباب الجانبي) عفواً ياسيدتي لقد نسيتها في المطبخ (تختفي)

سارينا – (وهي تتأمل البرتقالة) هه .. قال تحب قال !؟ هؤلاء الفتيات لايرحمن انفسهن ولا يفكرن بما قد يجلبن من عار على العائلات ! تحب ؟.. ومن !؟

(تدخل الوصيفة ومعها السكين)

الوصيفة – هات ياسيدتي اقشرها !

سارينا – (تختطف السكين منها) أنا سأقشر البرتقالة : اجلسي الى جانبي هنا (مشيرة الى يمينها) وحدثيني كيف تم كل شيء .

الوصيفة – (وهي تضحك) في البدء ، ياسيدتي ، شدها شقيقها الشيخ « تاهو » من شعرها ، وهي مكبلة بالاصفاد . كان شعرها منفوشاً والدماء تسيل من الجروح الكثيرة في وجهها . آه ... يالبشاعة وجهها ! لقد ذهب جمالها كله دفعة واحدة : تصوري ، ياسيدتي ، تصوري .. إميلا الغادة الجميلة ، بشعرها الكستنائي الطويـل وعينيها الخضراوين الكبيرتين ، بقامتها المشدودة المغرية ، تصبح كخرقة يمسح بها البلاط ياسيدتي !؟

سارينا – (وهي تقشر) انها تستحق اكثر من ذلك ! م .. وماذا حدث بعد ذلك ؟

الوصيفة – كان الناس يصرخون : احرقوا هذه الخائنة .. احرقوها فوراً .. وكنت قد اندسست بينهم في الساحة بحيث اشاهد كل شيء !

سارينا – وهل حضرت والدتها المشهد ؟

الوصيفة – يقال ان والدتها حزنت حزناً شديداً عليها ! إن ...

سارينا — (مقاطعة) انها تستحق الحرق أيضاً .. م .. (وهي تأكل) .. وماذا حدث أيضاً !؟

الوصيفة — ظل شقيقها يشدها من شعرها وهي تسترحم وتصرخ طالبة رؤية ذلك الشحاذ اللعين !

سارينا — (تلتهم من البرتقالة) بالعار ! بالعار !

الوصيفة — تصوري ياسيدتي ، لقد سمعت احد ابناء الشيوخ—وكان يتفرج على المشهد - يقول : لقد ولدت من ذلك الشحاذ سفاحاً !

سارينا — يا للخسة .. م — اكملي !

الوصيفة — وعندما اوصلها الى منتصف الساحة بدأ الناس ينقلون الأخشاب الجافة ويضعونها حولها وهي تنزف دماً . صرخ شقيقها في وجهها : إنني بريء منك ! أتعلمين يا سيدتي ماذا كان جوابها ! ؟

سارينا — م - ماذا كان جوابها ! ؟

الوصيفة — إذهب الى الجحيم ! وآنذاك ضج الناس وارتفعت الاصوات مطالبة الاسراع في حرقها . تقدم شقيقها منهـا وصفعها بعنف .. ثم بصق عليها . عندما ناولوه شعلة النار بدأ يضرم النار في الحطب .. وقرب النار من وجهها وهتف : أمام أهالي المدينة كلهم أحرق شقيقتي التي جاءت من لحمي ودمي . . احرقها لأنها خانتنا ، نحن النبـلاء ، واحبت شحاذاً خنزيراً من أحفاد الأقرع !

سارينا — (تنهض وتلقي ببقية البرتقالة في الصحن) الأقرع ! هلا اخبرتني يا ستيلا لماذا لم يعمل الأقرع صباح اليوم أي شيء ! ؟

الوصيفة — (وهي تنهض) عندما ذهبت يا سيدتي الى السوق صباح اليوم كان كل شيء مقفراً . كأنما المدينة خربة ! لا أناس ! الأقرع غير موجود . . يقـال أنه لم يذهب الى البساتين ولا الى المزارع ! تصوري يا سيدتي لقد توقفت مصانع النسيج ذاتها عن العمل هذا اليوم ! ! حتى العربات مشلولة .. كل شيء مشلول في المدينة .. كأنها الساعة ! الناس يسيرون في الشوارع ويتساءلون..أين ذهب الفارس الأقرع !؟

سارينا – اللعنة عليه ، لقد تسبب في احراق هذه النبيلة !

الوصيفة – هو يا سيدتي ! ؟

سارينا – القرع جاء من الأصل! لولا الأقرع لما كان احفاده ، ولما كان انجاله !

الوصيفة – ولولاه يا سيدتي ما اكلنا ولا شربنا ، ما لبسنا ولا بنينا !

سارينا – ومن أجل هذا لم يفعلوا شيئاً بذلك الحفيد الشحاذ الذي تجرأ واحب النبيلة وتسبب في احراقها حية صباح هذا اليوم .. يا للعار (تعود فتجلس) .. هل رأيت سيدك يا ستيلا ! !

الوصيفة – أظنه ذهب الى بيت شقيقه الشيخ مستوها يا سيدتي !

سارينا – (بفزع) الى بيت الشيخ مستوها ! ؟

الوصيفة – هذا ما اظنه يا سيدتي !

سارينا – اتركيني لو حدي يا ستيلا ! سأناديك عندما احتاج اليك (تتجه ستيلا الى الباب وهي تقول : حاضر يا سيدتي) كم هي الساعة الآن يا ستيلا ! ؟

الوصيفة – الثانية عشرة ظهراً يا سيدتي !

سارينا – حسناً جداً .. (تخرج ستيلا من الباب الجانبي) هــذا الأقرع سيسبب لنا البلاء (تنكب على البرتقالة تلتهم البقية) .. المصيـ..بة .. أنــه . . كل . . شيء . . (طرقات على الباب الاوسط) تـ .. فضل ! !

(يدخل مستوها . رجل في الأربعين . يرتدي ملابس مرفهة ، ذو لحية سوداء طويلة .. بفضل ان يرتدي بذلة رمادية وربطة عنق زرقاء)

سارينا – سيدي مستوها (تقف مبهوتة ..)

مستوها – (يتطلع يمنة ويسرة) « سارينا » إنني متشوق لرؤيتك ! (تبتعد بجلة)

سارينا – ولكن يا سيدي .. شقيقك .. أين هو !؟

مستوها – (متقدماً منها) بعثته الى مجلس القبائل مندوباً عني .. كل ذلك من اجل ان اختلي بك يا سارينا ! اسبوع كامل ذهب ولم أرك .. مجرد رؤية ! سبعة أيام بلياليها يا سارينا ! (يضع يده على كتفها ويقف خلفها) تكلمي يا سارينا .. ألست مشتاقة !؟ ... تكلمي !

سارينا – (تواجهه) مستوها .. هل شاهدت منظر الحرق صباح هذا اليوم!؟

مستوها – ابتعدي عن هذا الجنون . إنني أحبك وأنت تعلمين ذلك .

سارينا – ولكنني الآن زوج شقيقك ساروب يا مستوها . وإنني استحق أن أحرق في الشوارع وأجر من شعري ومن قدمي على هذا !

مستوها – (يرفع يده عن كتفها) سارينا (يواجهها) يا حبيبتي .. انك دائمـــاً هكذا ! لجوجة مستعجلة .. خائفة . لم الخوف وانا الرئيس الأول لمجالس الشيوخ !؟ هيا .. قولي .. تكلمي .. لمـــاذا تجمدت هكذا بالله عليك ! ؟ ألا تجيبينني يا سارينا !؟ الا تحبينني ! ؟

سارينا – اني احبك يا مستوها !
(يعانقها .. تفلت منه فجأة) اني خائفة يا مستوها ! خائفة حتى الموت !

مستوها – غبية ! من يستطيع ان يشي بنا ! ؟ أنا مستوها .. لاشك أنـــك تدركين مبلغ خوفهم مني .. جميعاً !

سارينا – انهم لا يخافونك يا مستوها ! انهم يتملقونك فقط . عندمـــا تسنح لهم أية فرصة فسوف ترام ! انهم طامعون في السلطة .. أنت اعمتك الكلمات المعسولة عن رؤية الحقيقة وادراكها .

مستوها – منذ سنوات وأنت تقولين الكلام ذاته .. قبل ان تتزوجي شقيقي حتى .. آه – (يذرع الغرفة وتتهالك هي على المقعد) كنت اريدك يا سارينا زوجة لي ! كنت أحبك ! أجل ! اتذكرين ايام الطفولة يا سارينا !؟ كم بنينا من البيوت بالرمـــل وطمرناها !؟ ... إيه .. كأنني أراهـــا الآن أمامي .. لقد كنت شاحبة ضعيفة البنية .. عيناك هما كل ما لديك من فتنة للرجال ! انني أراك الآن تكتبين على .

الرمال اسمينا بخط واضح . . بأصابعك الناعمـــة !.. أراك ترسمين حولها قلباً كبيراً !! ... سارينا ! !

سارينا – لماذا لم تتزوجني اذن ؟!

مستوها – (بغضب مفاجىء) واسبب بذلك انقساماً في العشيرة ! ؟ كلا .. كلا يا سارينا . هـــذا ليس من طبعي . كان علي ان اتزوج ابنة كاسوب ليصبح الى جانبي والا لما كنت الآن رئيس مجالس الشيوخ !

سارينا – (ناهضة وهي تشيح عنه بوجهها) كثيرون هم الذين ضحوا من اجل حبهم . انك تحب نفسك يامستوها ! أنت لا تحبني .. تشتهي جسدي هذا الذي لم تستطع ان تناله قبل الزواج. تذكر جيداً يامستوها، لقد صرخت ذات يوم في وجهك : لن تنال مني شيئاً قبل الزواج ، واذكر ه حتى الآن ، عيناك هاتين ، تقدحان شرراً. . بل ناراً . لقد غضبت يومها . لو كنت تحبني حقاً لما غضبت هكذا . ثم . .

مستوها – ماذا ؟!

سارينا – انني الآن زوج شقيقك يامستوها ، تذكر هذا ! إنها – ان علاقتنا هذه لأعظم الخيانة يمكن ان يرتكبها اثنان . . رجل وامرأة !

مستوها – انه الحب ، ياسارينا ، أحبك .. أحبك ، يهجم علينا .. يحتضننا .. تتقبل الامر على مضض

(اصوات ضجة بعيدة)

سارينا – (وهي تزيحه عنها) ، ماهذه الضجة ! ؟

مستوها – لاشيء ياسارينا .. أظن أنه موكب الخائنة التي أحرقت صباح اليوم !

سارينا – (تتجه صوب الباب الجانبي) اجلس ارجوك .. تناول برتقالة ! (تنادي بأعلى صوتها) .. ستيلا ..ستيلا (تعود اليه .. يحدق فيها بغضب وهو جالس) .

مستوها – طلب شخص ثالث معناه الضيق والتبرم ! سارينا .. انك لاتريدين الانفراد بي !

سارينا - أريد أن أعرف ماهذه الضجة .

(أصوات الضجة تقترب ، تدخل ستيلا)

ستيلا - نعم ياسيدتي (تفاجأ برؤية مستوها . تنحني له) أقدم إحتراماتي ياسيدتي الشيخ مستوها !

مستوها - ليبارك الاله ياستيلا !

سارينا - ماهذه الضجة ياستيلا !؟

ستيلا - لاأعرف ياسيدتي ! هل أذهب الى الشرفة على أعرف شيئاً ؟ (تهرع نحو الباب الخلفي .)

مستوها - نعم .. نعم .. الى الشرفة .. بسرعة (الاصوات ترتفع) سارينا تعالي هنا .. الى جانبي .

سارينا - أخشى ان يحضر شقيقك بغتة يامستوها ! ماذا سيفعل ! ? سينتحر بكل تأكيد .

مستوها - لن يحضر قبل المساء . ان اجتماع المجالس القبلية سيبدأ في الساعة الثانية بعد الظهر !

سارينا - اسمع الضجة يامستوها ! لابد ان شيئاً ما قد حدث . ان مافعله الاقرع اليوم نذير شؤم على البلاد .

مستوها - تظلين دائماً متشائمة خائفة . الأقرع متعب وهذا كل مافي الامر ! أنتن النساء تخلقن من اللاشيء كل شيء .

(تدخل ستيلا وهي تفرك يديها .. خوفاً)

مستوها - ماذا في الأمر ياستيلا ؟ (الضجة عالية)

ستيلا - يتحدثون عن الحرب ياسيدي !

مستوها - (ناهضاً بجزع) عن الحرب ! ؟ أي حرب ! ؟

ستيلا - لم أفهم شيئاً ... الحرب هي الكلمة التي سمعتها !

سارينا - هذا ماكنت احسبه . ان غياب الاقرع نذير شؤم هذا اليوم !

مستوها - بالله كفي عن هذا الهراء . اذهبي ياستيلا وناد أحــدم الى هنا .
هل م من الشيوخ ؟!

ستيلا - انهم مختلطون ياسيدي !

مستوها - احضري ، اذن ، شيخاً !

(تخرج ستيلا من الباب الجانبي)

سارينا - ألم أقل لك يامستوها ان هذا اليوم نذير شؤم .. غياب الاقرع عن السوق وامتناعه عن مزاولة أعماله المعتادة يعني اشياء كثيرة .

مستوها - (بتهالك) لا أعتقد انهم يتحدثون عن حرب معنا !.. يمكن ان تكون نشبت حرب بين قبيلتين متنازعتين ؛ ..

سارينا - (مقاطعة) ومادخل قبيلتنا بذلك !؟ أعتقد ان شرذمة الكولونيل قد قامتْ بعمل ما !!

مستوها - ها . ها . ها . انك غبية حقاً . من هو الذي يستطيع ان يقتحم حدودنا ؟ منذ سنوات والكل يخشوننا ياعزيزتي . ان قبيلة كقبيلتنا لايمكن لأحد ان يفكر باستفزازها .. مجرد استفزاز !

(تدخل ستيلا)

ستيلا - ياسيدي لقد استدعيت احدم فوراً ! انني خائفة ياسيدي فهم يتحدثون عن حرب .. وسمعت أسم الاقرع يتردد كثيراً .

مستوها - من يسمع النساء يخال أن القيامة قد قامت ! هيــا .. بهدوء اخرجي ياستيلا .

(تتحرك لتخرج)

سارينا - لاتخرجي ياستيلا !

ستيلا - حاضر ياسيدتي !

مستوها - قلت لك اخرجي ..

ستيلا - حاضر ياسيدي (تتجه الى الباب الجانبي)

سارينا - قلت لك لاتخرجي ياستيلا !

مستوها ـ لماذا !؟

سارينا ـ أحس بالخوف الشديد .. ستيلا هي الوحيدة التي تشعرني باطمئنان .

مستوها ـ حسناً جداً (يذرع الغرفة) أين هذا الشيخ الذي استدعيته ياستيلا (تفتح ستيلا فها لتجيب ولكنها تصمت عندما تراه مستمراً) حرب !! هه ! مع من !؟ معنا ؟ هذا غير معقول مطلقاً !؟ أي مجنون يجرؤ ان يضع يده بل رأسه في فم الأسد !؟ لاشك مجنون هذا الذي يفكر بالحرب معنا ؟ مع من !؟ هه . هه . هه .. معنا ! ألم تعلمهم الأيام الماضية بأسنا الشديد !؟ صحيح ان ضعفاً بسيطاً طرأ على القبيلة إلا أننا لانزال اشد الناس بأساً وأقوام عزيمة ! هه (لسارينا) حرب ؟ ... حرب ... (طرقات على الباب أدخل ..) يفتح الباب ويدخل رجل في الاربعينيات من عمره ، ملابسه ممزقة ، لحيته شعثاء ، يبدو عليه الإنهاك .. القادم هو ساهوم) .

ساهوم ـ أشد .. احتراماتي ياسيدي الشيخ مستوها إني هـ .. هـ ..

مستوها ـ تعال اجلس هنا .. تعال (يشير الى المقاعد .. يتقدم ساهوم يلهث ويتهالك) يبدو لي أنك متعب جداً ... ستيلا .. هاتي كوباً من الماء للرجل .. هيا (تخرج ستيلا من الباب الجانبي) ... ما هي الاخبار أيها الشيخ النبيل !؟

ساهوم ـ اخجل ان اكون اول من نشرها عليكم ياسيدي .

مستوها ـ (لسارينا) هل تدعينا وحدنا دقيقة !؟ أود أن اجلس الى الشيخ على انفراد ؟

سارينا ـ (متبرمة) ألا يسعني البقاء ؟؟

مستوها ـ بوسعك العودة بعد دقائق قليلة ياسيدتي . لا استطيع شيئاً أمام النساء . إنهن يخلقن من الشعرة لحية . (منحنيا لها) ... اذا أمرت ؟ (ترمقه شزراً ثم تخرج من الباب الجانبي) .

ساهوم — أرجو العذر ياسيدي لانني متعب !

مستودا — لاشك أنك مشيت مسافة طويلة ! قل لي من أنت !؟

القادم — أنا ساهوم ياسيدي .. ابن الشيخ « لاشوب » احد احفاد آل كاسوب العظام !؟

مستوها — (يقبل عليه مصافحاً بحرارة) لم اعرفك بادىء الامر .. يا الهي ! انت اذن من آل كاسوب العظماء !

ساهوم — نعم ياسيدي ! (تدخل ستيلا ومعها كأس من الماء ..)

ستيلا — (للرجل) ، تفضل ياسيدي الشيخ ... م ... ماهي الأخبار !

مستوها — ستيلا .. اخرجي حالاً !

ستيلا — أمر مولاي الشيخ (تأخذ كأس الماء من ساهوم وتتجه الى الباب)..

مستوها — (يذرع الغرفة) أرجو ان لاتكون الاخبار سيئة ! (الضجة مستمرة بين منخفضة وعالية) .. وهـذه الضجة التي تعم البلد تذكرني بتلك الضجة التي حدثت أيام والدي المرحوم !

ساهوم — (رافعاً ذراعيه الى السماء) ، باركته السماء وباركتـك ياسيدي الشيخ مستوها !

مستوها — لعلك الآن تستطيع التحدث بهدوء وبروية . أريد ان تقص علي كل شيء بالتفصيل يا ساهوم ! أعتمد عليك في هذه المسألة ! قد اتخذ قراراً خطيراً .. لذا أريد الصراحة والصدق ! لم اطلب الا شيخاً لأنني أثق بالشيوخ فقط !

ساهوم — (كأنه يكلم نفسه) ما اصعب الحقيقة وما أقسى الاعتراف بهـا يا سيدي (مستوها لايزال يذرع الغرفة) لكأن الانسان لايصدق احياناً ، ما يراه بعينيه . بل لكأنه يشك بالشمس التي يراهـا وبذراعه التي يحركها .

مستوها — اختصر من المقدمات !

ساهوم - كنت يا سيدي الشيخ في سهل آل كاسوب العظيم .. السهل الخصب المعطاء كان كل شيء هادئاً . نبحت الكلاب، فجأة مرتين ! ليس من عادة كلابي وهي الاصيلة النباح دونما سبب . كنت نائماً مع زوجتي الجميلة « آرانيـــا » حفيدة آل « ساروب » يا سيدي « يقف » أفقت من النوم ورفعت رأسي كانت زوجتي مستيقظة . سألتها : أسمعت نباح الكلاب ؟! قالت لي : نعم . . يا ساهوم أخشى أنه يكون قد جاءنا لص . في هذه اللحظة يا سيدي ، نبحت الكلاب بجزع . انني استطيع تمييز أصوات الكلاب ومعانيهـــا . . فلقد عشت طوال عمري معها !

مستوها - نعم .. نعم .. ماذا حدث ؟!

ساهوم - قلت لزوجتي : انهضي وانظري ماذا في الأمر ؟

مستوها - ... كان يجب ان تنهض انت !

ساهوم - نعم ياسيدي ، لقد نهضت بعد ذلك لأن زوجتي صرخت : أتسمع؟.. وعندما اصخت السمع فاجأني الخوف !

مستوها - الخوف ؟!

ساهوم - لست أنكر عليك بانني شعرت بتخاذل ركبتي حتى كدت أزحف الى الباب زحفاً . لقد سمعت ياسيدي اصوات اطـــلاق الرصاص وصراخ نساء الحي والمدينة وبنـــات الريف واحفاد الأقرع واولاده .

مستوها - (بنفاد صبر) والسبب ياساهوم ؟!.. السبب !

ساهوم - لكأنما نزلت بالجميع صاعقة ياسيدي النيران من كل جانب والأصوات من كل حدب وصوب . خرت زوجتي ، وهي حامل في شهرهـــا السابع ، ياسيدي .. (يتهدج صوته) . تصور لقد نزفت دماً!.. دماً ياسيدي منذ اللحظة الأولى وأخشى الان ان تكون قد ماتت !

مستوها - ماتت !؟ ألا تعرف عنها شيئاً؟!

ساهوم - من يعرف عن أحد شيئاً في ساعة الغفلة ياسيدي !؟ حتى أنني لم أجد وقتاً كافياً لإرتداء الثياب اللائقة . خرجت ياسيدي ، وأصوات

الرصاص تلعلع وصراخ (آرانيا) يصم أذني حتى أنني اضطررت إلى وضع اصبعي في أذني . جريت أستفسر عما حدث ...

مستوها ـ نعم ! نعم !

ساهوم ـ التقيت بأحد أحفاد الأقرع !... آه .. ياسيدي .. يالمنظر الرهيب. بلمحة بصر ، وأنا أسأله عما حدث ، كانت أجزاؤه تتطاير في الفضاء ودمه يلطخ ملابسي . يالهول !.. لقد رأيت من الأهوال مايشعل الرأس شيباً . ورغم ذلك ، ياسيدي مستوها ، فانني جمعت على السير حتى النهاية .. لكي أعرف حقيقة الأمر . وفي دقائق ابصرت جمعاً هارباً من النساء والأطفال من أسر الأقرع . هرعت اليهم أستفسر .بالهول ماسمعت ياسيدي !! لقد هجم آل الكولونيل علينا في تلك اللحظة !

مستوها ـ (برعب) آل الكولونيل !؟ ياللخزي !! والحاميات ؟ والمدافعون ماذا فعلوا !؟

ساهوم ـ لم يصمدوا كثيرا ياسيدي ، تصور .. هربوا جميعهم .. قتل من قتل ونجا بروحه من هرب منهم ! الجبناء !!

مستوها ـ وماذا فعل المجرمون بعد ذلك !؟

ساهوم ـ مايثير قلقي ياسيدي انهم احتلوا السهل كله والجبل وقسماً من الصحراء .

مستوها ـ وأرضي !؟

ساهوم ـ ما أشد فجيعتي يا مولاي إذ أعلمكم بأنهم استولوا على قسم كبير منها !

مستوها ـ (يضرب كفاً بكف) وابن الأقرع الأكبر .. ماذا فعل !؟

ساهوم ـ لكأن الأرض انشقت فابتلعته يا سيدي ! سيطر الكولونيل وعصاباته على حامية الجبل السرية ـ كما سمعت ـ خلال ساعة واحدة وبدون مقاومة ... يا للخزي الذي لحق بنا .. (فجأة ينشج) .. زوجتي يا سيدي الشيخ ... زوجتي !!

مستوها ـ كف عن البكاء ايها الشيخ ساهوم ! المسألة خطيرة للغاية وان ما حسبته سرابنا وجدناه حقيقة ! يا للفضيحة .. آل الكولونيل !!! شرذمة لصوص يستولون على الأرض ! لماذا !؟

ساهوم ـ يا سيدي الشيخ : لقد جلبوا عائلاتهم معهم وبدأوا يستوطنون .. و . .

مستوها ـ يستوطنون ؟ مـاذا قلت ! يستوطنون ! أيتهـا السماء أنزلي عليَّ اللعنة إن كان هذا الكلام صحيحاً ! (يلتفت الى ساهوم بغضب) ... ساهوم تذهب الآن وتستدعي كاسوب وتقول له بأن المجلس الأعلى للشيوخ سيجتمع الليلة في داري !

ساهوم ـ حاضر ، يا سيدي ، .. ان العار الذي لحق بنا لا يمحوه الا غضب الأقرع !

مستوها ـ انني لاستغرب ، ماذا حدث لابن الأقرع الأكبر .. ولماذا لم يقاوم !؟ إنه كان يستطيع صدهم وحده ومنعهم من احتلال شبر واحد من ارضنا المعطاء !! وزوجتك ياساهوم ماذا حدث لها ؟

ساهوم ـ (يحشرج) : لست .. أدري .. يا سيدي .. ربماماتت من النزيف الدموي. وربما طرحت ارضاً ابني الوحيد .. بل ربما وقعت ... اسيرتهم وهذا ما يدهشني ويصب في قلبي الحسرة والندم !

مستوها ـ كان يجب ان تأخذها معك على الأقل !

ساهوم ـ (وهو يسير نحو الباب) لقد فقدت صوابي ياسيدي لهول المفاجأة ... لهول المفاجأة .

مستوها ـ مع السلامة !... (لنفسه) ماذا نفعل الآن ؟ ماذا نفعـل ؟ نحارب الأقرع .. ابن الأقرع الأكبر أين ذهب ؟ ماذا حل به ؟ لماذا لم يقاوم ؟ اللعنه.... اللعنة . أيتها السماء لتنزل على آل الكولونيل اللعنةالأبدية.سوف نجعل منهم امثولة المعتدي على الأرض وحقوق الشيوخ في هذه الأرض ! ارضي ... ارضي الطيبة أصبحت في ايديهم !!

ستيلا ـ (من خارج الغرفة) هل تدخل سيدتي يا سيدي الشيخ ؟

مستوها ـ لتدخل ياستيلا ... لتدخل .. (لنفسه) .. لتدخل فلعلها تستطيع زرع شيء من الثبات في قلبي . الطمأنينة تأتيني في حضرتها ... لكم أحبها ... أحبها .

(تدخل ساريتا)

سارينا ـ (تدق على صدرها) ماذا يا مستوها ؟ ماذا حدث ؟ قال لي بالله عليك !

مستوها ـ (يقترب منها) آل الكولونيل .. يا سارينا !

سارينا ـ (تمسك ذراعه) هاجونا يا مستوها ؟ هذا ما كنت اتوقعه !

مستوها ـ لكم كنت غبياً إذ ظننت انك تستطيعين زرع شيء من الثقة والاطمئنان في اعماق الخائفة !

سارينا ـ (تطوقه بذراعيها) ياحبيبي مستوها ! أيها المسكين . ان مركزك هذا لاتُحسد عليه .... واستولوا على الأرض ؟

مستوها ـ السهل كله .. الجبل .. قسم كبير من أرضي .. واراضي اخرى لبقية الشيوخ .

سارينا ـ (تبتعد عنه وتتحرك حائرة) لكأن السماء ارسلت إليّ هذا اليوم من يخبرني بالفجيعة .. ايها الحبيب المظلوم ! ايها المحسود على مركز هو كالنار بالنسبة للفراشة المحمومة !!.. مستوها .. ماذا ستفعل ؟

مستوها ـ (ساهماً) : لست أدري ! لو جاءوا إليّ باخبار موت الشيوخ كلهم لما كان وقع الخبر كهذا الوقع المؤلم !... تصوري ياسارينا . يذهب قسم من ارضي ومن الذي يفعل هذا ؟ آل الكولونيل !! اللصوص الذين يحتقرهم العالم كله .. ياللعار الذي لحق بالعشيرة في عهدي السعيد !

سارينا ـ يجدر بك الآن ان تبحث عن حل !

مستوها ـ (يحملق في عينيها) سارينا !! ألف مشكلة تهون إلا مشكلة حبي لك .. إنني احبك !!

سارينا ـ (خائبة) . لكم تبدو ساذجاً رغم بنك !

مستوها ـ (يتشبث بذراعيها) ، احبك يا سارينا !

سارينا ـ مستوها ! آل الكولونيل احتلوا الأرض !

مستوها ـ (يجثم على ركبتيه امامها) ، اعبدك ياسارينا !

سارينا ـ (بثبات) ، انهض يامستوها واستعد الأرض التي سرقها الأوغاد .

مستوها ـ أين هي قوتي ياسارينا ؟ أين ؟ الأقرع !

ساريْنا ـ نعم .. الأقرع ! اجعله يحاربهم فوراً .. دعه يطردهم يامستوها !

مستوها ـ لكم اعبدك .

ساريْنا ـ المراهق .. يا حبيبي المراهق (تدخل اصابعها بين شعر رأسه) .

مستوها ـ (متأثراً) أحبك ياسارينا ... (يتطلع الى وجهها) ، سارينا .. هبيني شيئاً من شجاعتك وصمودك !

ساريْنا ـ أنت الرئيس عن جدارة .. وتستطيع فعل أي شيء . ما عليك الا الأمر وما على الجميع الا ان يطيعوا !

مستوها ـ لكم اشتهيك يا سارينا !

ساريْنا ـ أهذا وقت الشهوات ؟

مستوها ـ (وهو ينهض منتشياً بها) ، متى اختلي بك يا حبيبتي سارينا؟ اعوام طويلة مضت وانا احلم بك ... أريدك لي !

ساريْنا ـ استعد الأرض .. آنذاك أصبح ملكك ! أنت تعلم جيداً أنني أحبك .

مستوها ـ أنت .. والأرض ؟ بالروعة النصر ، هل حقاً تكونين لي عندما تعود الأرض ؟

ساريْنا ـ هذا هو الرهان !

مستوها ـ (يمسك بذراعيها) رهان ؟

ساريْنا ـ نعم يامستوها .. رهان . ستنالني عندما تعود الأرض . وهذا كلام أقوله صادقة حتى لو تعرضت للموت من أجله !

مستوها ـ (كأنه يستفيق) ، حسناً ياسارينا .. فليدع الليلة مجلس شيوخ العشيرة الأعلى ولنعلن الحرب عليهم : إن الأقرع سينتقم . (يحتضنها ويحاول تقبيلها) .

ساريْنا ـ (تنفلت منه) هذا وقت العمل يامستوها .

مستوها ـ ولكني احبك ، أريدك لي ، لي وحدي !

ساريْنا ـ الرهان ياسيدي الشيخ .

مستوها ـ سارينا .. ابعثي من ينادي ساروب .. وسأذهب الآن اجمع المعلومات .. لابد ان يكون شيء ما قد حدث لابن الأقرع الأكبر .

سارينا ـ لقد نسيت ان أسأل كيف حدث كل ذلك ، أين كان ابن الأقرع ؟

مستوها ـ السماء وحدها تعلم اين ابن الاقرع ! لعله مات او ... لست ادري ماذا اقول . كل شيء جرى في غفلة ، حتى ان ساهوم نسي ان يجلب معه زوجته .. والمسكينة حامل في شهرها السابع !

سارينا ـ أشعر بعار !

مستوها ـ وأنا كذلك ! (يحاول ان يقبلها ثانية ولكنها تصده ..)

سارينا ـ الى العمل يامستوها .. لابد أن تعود الارض !

(الاضواء تخفت)

مستوها ـ الى اللقاء اذن ياسارينا ... بعد النصر .

سارينا ـ (تبتهل الى الله) ليحفظك الإله .. يامستوها ولينصرك ...

« ستار »

الفصل الثالث

المشهـــد

(ضوء شديد جداً .. الجدار عبارة عن قوس واحد . لامنافذ إلا باب الستارة التي يشاهد الجمهور مايجري خلفها على خشبة المسرح . وعلى هذا فان الخارج او الداخل من والى المسرح ، يخرج او يدخل من الامـــام . سجادتان معلقتان على الجدار المقوس . مقعد كبير على شكل هلال امام الجدار . يجلس في الوسط مستوها . الى يساره ساروب « لحية طويـــلة وملابس عصرية » ،إلى يسار ساروب يجلس كاسوب « شاب له لحية صغيرة، يرتدي بذلة سوداء » ،إلى يمين مستوها جلس آسوم «الوجه الماكر واللحية المدببة » ، إلى يمين آسوم جلس شيخان: الاول « متافرو » ـ رجل طاعن في السن ــ والآخر اصغرهم سناً هو الشيخ آروم).

مستوها ـ (منزعجاً) ان الحالة لم تعد تطاق . الفوضى في الشوارع والعدو زرع قبيلته زرعاً في اراضينا وبقوة السلاح . لمجلسكم الموقر ان يقرر مايريد . ما علي إلا إصدار الاوامر لتنفيذ رغباتكم .

كاسوب ـ (ناهضاً) ايها الاخوة الشيوخ . الحزن يغمرني ولايسعني ان اقول الكثير، فأنتم ادرى مني بهذه الامور . لم اعتد اعـــلان الحروب ، او خوضها . اجدادي ، عظماء آل كاسوب ، خاضوا حروباً سجلها لهم التاريخ في سطور المجـــد . اليوم ، لو أطل هؤلاء الاجداد ورأوا مايحدث لي، بالعار !!. (متأثراً) .. ارضنا يسرقها أوغاد مستهترون لا أصل لهم ولا جـــذور ... سهلي الواسع الخصب يستولي عليه حفنة جبناء ... بالعار ... (يحملق في الجمهور متأثراً) .

مستوها ـ (وهو جالس) كلنا نشاطرك ياعزيزي الشيخ كاسوب مشاعرك ولايغيب عن بالك انهم استولوا كذلك على قسم من ارضي .. قسم كبير . لقـــد

جمعتكم لأسمع آراءكم !! لم اجمعكم هنا لكي اسمع كلمات الرثاء .. تدمي القلوب. لشد ماهي عزيزة علي ارضي . ايهـا الشيوخ الاكارم .. ان أشجارها الخضراء وبساتينها العامرة تستطيع وحدها اغراق السوق ..

(يجلس كاسوب ويقف آسوم في الوسط)

آسوم ـ أيها الشيوخ المبجلون ، ان القضية واضحة لا لبس فيها . لقد سمعت من اكثر من مصدر ، وقابلت العديدين ممن حضروا المعركة وجاؤونا بالأخبار .. القضية ياسادة ... خيانة !!

الجميع معاً ـ خيانـــة !!

آسوم ـ نعم خيانة . ايها الشيوخ المحترمون .. خيانة من انسان إئتمناه على املاكنا حارساً ! تصوروا ايهـا الشيوخ الكرام ، تصوروا ، ان ينطبق علينا المثل القائل « حامي الكرمة لصها » !! بالشنار .. ياسادتي .. بالشنار !!

ساروب ـ ان هذا الكلام الذي يقوله الاخ آسوم خطير جداً . اذا كان بيننا خائن فلنعرفه فوراً ونحرقه في الساحة العامة ليشهد على ذلك الناس !

آسوم ـ الخيانة ياسادتي ليست من بيننا .. حاشا لله أن أتهم أياً منكم بالخيانة ! من أتهم ؟ أنت يا شيخنا ساروب لاسمح الله ! أنت الذي خسرت نصف ممتلكاتك ! في هذا الغزو الرهيب ! ام اتهم شيخنا الأكبر مستوها ذلك المخلص العظيم أأتهم نفسي،انا الذي طالما بعثت اليهم رسلاً يحملون التهديدات رغم معارضة مجلسكم الموقر ! حاشا لله يا شيوخي الأكارم .. حاشا لله !!

كاسوب ـ (ناهضاً) اذن،نطلب منكم يا سيادة الشيخ آسوم أن توضحوا ما اعلنتموه. اننا في أشد الشوق لمعرفة خيوط المؤامرة التي حيكت ضدنا !

آسوم ـ (بنفس اللهجة) اود ان اسأل سؤالاً يعرف جميعنا جوابه .. لذا سأجيب عليه بنفسي . ترى .. من هو الحارس الذي وضعنا في عنقه أمانة صيانة املاكنا والحرص عليها ؟ أو ليس هو الابن الاكبر لفارسنا الأوحد .. الأقرع ؟ أو ليس هو قائد الحماية العظيمة التي اعددناها منـــذ سنوات لهذه الأمور ؟

مستوها ـ نعم .. انه هو حقاً !!

آسوم - وهو يا شيوخي المبجلين .. هو الذي خاننا وذهب مع غانية ..

الجميع - (مشدوهين) مع غانية !!

مستوها - أرجو الافصاح عن الأمر بالتفصيل يا شيخنا آسوم !

آسوم - غانية يا سادة اسمها إيفيت . بعثوها اليه ليلة الغزو !... هه ... هه ... استطاعت ان تحصل منه على ماتريد .. غانية !!! يا للخزي الذي جره علينا هذا الولد !! تصوروا !! غانية عابثة اسمها إيفيت تحقق للغازي هذا النصر علينا لمجرد ان هذا المراهق اعجب بها . في ليلة الغزو دخلت عليه. طار صوابه لغمزة من عينها .. تصوروا ياسادتي .. يترك الحراسة ويذهب في صحبة غانية العدو الى حيث لا يستطيع القيام بأي رد فعل ضد هذا الغزو المتوقع !!

ساروب - أرجو عدم المؤاخذة لمقاطعة الأخ آسوم، ولكني اود ان اوضح ان الغزو لم يكن متوقعاً !

مستوها - بل هو متوقع !

كاسوب - اذا كان الغزو متوقعاً فالموت هو جزاء الخائن الذي سلم أرضنا لقمة سائغة للعدو !

ساروب - ان هو الا القضاء والقدر !!

مستوها - (ساخراً) القضاء والقدر !! ها .. ها .. ها .. القضاء والقدر ياساروب ليس له دخل في مثل هذه الأمور !

ساروب - من هو المسؤول اذن ؟

آسوم - لقد قلت لكم ان المسؤول هو قائد الحامية ! صحيح ان التعبير الذي قلته عن توقع حدوث الغزو ليس دقيقاً ولكن هلا سألتكم : ما هو واجب الحارس

كاسوب - بالطبع حماية الأرض التي اوكلت اليه حراستها !

آسوم - اذن فالحارس يجب ان يظل ساهراً .. عيناه لا تغمضان قط . حواسه متيقظة متوقبة .. عند أقل بادرة يستنفر جميع قواه للقيام بالواجب !

ستافرو ـ (للمرة الأولى) إسمحوا لي ان أتكلم ياشيوخي الأكارم !!

مستوها ـ تفضل ياشيخنا ستافرو !

ستافرو ـ هذا العمر الطويل الذي عشته ... وتلك السنوات المريرة التي أحلها فوق ظهري المنحني هذا .. علماني أموراً كثيرة .. الرعية من الرعاة ياشيوخي الأكارم ! كما ان الرعاة من الرعية !

آسوم ـ كيف ؟

ستافرو ـ (بهدوء) لاأريد الخوض في بحور أمور جانبية ... القضية تتلخص في جملة قصيرة مفيدة : هذا الغزو .. هل تريدون انهاءه ؟

آسوم ـ بالطبع ياشيخنا ستافرو !

ستافرو ـ اذن ضعوا خطط انهائه فوراً !

مستوها ـ (ناهضاً) هذا كلام صائب . أريد ان اسمع آراءكم جميعاً في هذا الأمر . اجلسوا ياسادتي الشيوخ ولنتكلم بهدوء وروية . يبدو ان المفاجـأة قد أفقدت بعضنا أعصابه ..

كاسوب ـ لست أدري اذا كنا الآن بحاجة الى الروية او الى العجلة : الأمور محيرة بالفعل !

ساروب ـ هذا كلام صحيح !

مستوها ـ (بعد ان يجلسوا) مارأي أخينا آسوم في الأمر .. هل لديه أي اقتراح.؟

آسوم ـ ماذهب بالسيف يعود بحد السيف . أطلب تنفيذ أمرين : الأول اعـلان الحرب على الأعداء ،والثاني تنفيذ حكم الإعدام بالخائن.وإلا فانني أظل أرسم شارات استفهام !

مستوها ـ لقد سمعنا رأيك ، ولكن حكم الاعدام على ابن الأقرع بحاجة الى أدلة .

كاسوب ـ يبدو لي ان شيخنا الكبير يعطف على ابن الأقرع . هل من أدلة أكثر على جريته من ضياع أرضنا ؟

مستوها ـ هذا أمر يستحق التأجيل الآن !

ساروب ـ أنا من رأي شيخنا مستوها.. هذا أمر يؤجل !

مستوها ـ ماهو رأيكم أيها الشيخ ساروب ؟

ساروب ـ لست من رأي آسوم . أرى ان نبعث اليهم بوفد يفاوضهم علهم يرضون الرحيل بسلام !!

آسوم ـ السلام !! هذا كلام غير مقبول قط . الفازي شرذمة .. عصابة سرقة وقتل ويجب أن تؤدب !

ساروب ـ إن اهدار المزيد من الدم يجلب المزيد من الويلات والدمار والدم .

مستوها ـ على كل هذا رأيه .. فلنسمع رأي كاسوب !

كاسوب ـ (ناهضاً) الحرب ياسادة ! العرض لايصونه الا السيف .. أرواحنا تطالب بالثأر .. وأجدادي .. عظاء آل كاسوب ينتظرون منا « الفعل » !!...
(آسوم يرمقه شذراً) .

مستوها ـ ورأي شيخنا ستافرو !
(كاسوب يجلس)

ستافرو ـ (يقف) ياسادتي المبجلين .. أرى أنكم تريدون الحرب .. والحرب معناها الفارس الأقرع .. فارسنا الأوحد !

ساروب ـ هذا طبيعي !

مستوها ـ لقد قتل من احفاده الكثيرون وجرح من أولاده الكثير .. وهو متشوق كما أظن للأخذ بالثأر ..

ستافرو ـ إذن .. لا رأي لمن ليس له رأي .

آسوم ـ (منتصباً بغضب) ماذا يعني شيخنا ستافرو ؟

ستافرو ـ (بنفس الهدوء) أرى أن نسمع رأي المسؤول عن الحرب !

كاسوب ـ تعني الفارس الأقرع !

ستافرو ـ نعم !

كاسوب وآسوم ـ (معاً) بالعار !!

ساروب ـ هذا ما كان ناقصاً !

آروم ـ (للمرة الأولى) .. ها . ها . ها . الأقرع !!

آسوم ـ (ينزل بينهم) هذا الأمر أشد شناعة من الهزيمة ذاتها !

ستافرو ـ (بنفس الهدوء) الأمر يعني الفارس الأوحد بالدرجة الأولى !

آسوم ـ ياشيخي ستافرو .. هل استدعيتم في يوم هـذا الفارس الى هذا المكان ؟ هل طلبتم منه شيئاً لم ينفذه ؟ أرى أن العار الأكبر هو استدعاء الأقرع الى مجلسنا الموقر !

مستوها ـ لست من رأي المعارضـين في دعوة الأقرع . ان الأقرع هو صاحب الأمر في هذه الحالة . اذا تركنا الأمر لنا والتنفيذ له ؛ فقد يعلن العصيان وهو في حالته العصبية الراهنة .
مضت ساعات فقط وهو في هذه الحالة والبلد معطلة وتكاد تموت من الجوع والعطش .. ومعطلة كأنما هي تعيش يوم القيامة !

آسوم ـ العصا لمن عصى ياشيخنا مستوها !

ستافرو ـ (بهدوء) وقد تولد العصا المزيد من العناد والعصيان . القطة ذاتهـا تصبح شرسة عندما تسحبها في غرفة موصدة ! قد تتحول حتى الى فهد .. أو نمر .. إيـه .. وعلى كل حال فلقد قلت منذ البدء لا رأي لمن ليس له رأي !

مستوها ـ أيهـا الشيـخ الصغير آروم .. انهض واستدع الفارس الاقرع .. احضره هنـا !

آروم ـ (مندهشاً) أنا ياسيدي الشيـخ ؟

مستوها ـ نعم أنت .. وهذا أمر !

آروم ـ (يهز كتفيه وهو يحاول النهوض) سأصبح اضحوكة الشيوخ . ولكن مادام هذا أمركم فانني أطيـع (يتجه صوب الجمهور وينزل من المسرح ثم يسير وسط الجمهور ..)

كاسوب ـ هذا ضعف ياشيخنا مستوها !

آسوم ـ لازلت عند رأيي .. العصا لمن عصى .

ستافرو ـ ماذا تعني ؟

كاسوب — يعني أن الأقرع سيقاتل لأن عليه أن يحافظ على إملاكنا .. انه يعيش بفضل هذه الاملاك !!

ساروب — (بهدوء) وأنا لا أريد الحرب .. إنها حمى ودمار !

ستافرو — (غير آبه به) لماذا لاتقول ياكاسوب اننا نعيش بفضل عمله ؟ لولاه ولولا اولاده واحفاده لما كان أي منكم في هذا المجلس . عشتم طوال هذا العمر متعتين .. تحرموه من مجرد الجلوس معكم !

ساروب — (لنفسه) وأنا لا أريد الحرب !

آسوم — الجلوس معنا ! من هو هذا الأقرع ! ابن سلالة الشحاذين والعامة ! أيجلس هذا جنباً الى جنب مع سلالة النبلاء والأشراف ؟ يالعار !

كاسوب — أستطيع أن أرى الأجداد يبصقون علينا لأننا لم نسر كما ارادوا ... يجب أن يحيي الخلف ماضي السلف . آه .. يا آل كاسوب العظام : أرجوكم المعذرة !

ساروب — (وحيداً) وأنا لا أريد الحرب !

مستوها — كأننا نرى الحالنا قبل أن نموت . ان مجيء الاقرع لايعني شيئاً !

آسوم — والدك المرحوم يامستوها العزيز كاد يذهب ضحية شفقته على هذا الفارس . كلكم يذكر جيداً ، شيوخي الافاضل ، ذلك التمرد الكبير الذي هز العشيرة من اقصاها الى اقصاها وكاد يضرم نار حرب اهلية لاتبقي ولاتذر !

كاسوب — والسبب في ذلك اعطاء شيء من الحرية لهـــذا الفارس اللعين . ان اللعنة ستنصب علينا من السماء ومن الأجداد العظام إن هو أعطي اليوم اكثر مما يجب !

ساروب — وأنا أرى أن الحرب دمار !

مستوها — هذا صحيح ولكن ... لامفر ...!!

آسوم — ان أرواح أجدادنا ستتخلى عنا وتلعننا الى الأبد إن نحن فرطنا قيد أنملة بما وضعته أمانة في أعناقنا .

ستافرو — (يسير ببطء بينهم) شيوخي الاعزاء .. القليل من الهدوء ... الروية .. الهدوء ... فقدانكم اعصابكم نهاية لكم ! إن لم ينهكم العدو سينهيكم الفارس

الأقرع ! يجب أن تنظروا الى الأمر من زاوية موضوعية .. اذا أصدرتم اليه أمراً بالقتال دون استشارته، فقد يعصي الأمر ويعرض اولاده واحفاده .. وهذا شر البلية !

آسوم ـ ها . ها . ها ... شر البلية مايضحك يا ستافرو ! كيف تتوقع العصيان وجميع الضحايا من صلبه !

كاسوب ـ ان الشفقة تولد العذاب ياسادتي الشيوخ !

مستوها ـ كفى ..!!

ساروب ـ لو أنكم أخذتم برأيي لما حدث هذا ..

مستوها ـ أرجو أن تعاملوه بهدوء وبلطف !

آسوم ـ لم يبق غير هذا !

كاسوب ـ كان يجب أن تأمرنا بالسجود له والتوسل اليه لكي يحارب ! ان اللين ضعف في كثير من الاحيان ياسادة كما ان الكرم في غير أوانه هوان !!

ستافرو ـ (بهدوء) لكأنك تريد أن تنعم عليه ببركة الحضور !

كاسوب ـ طبعاً !

ساروب ـ اذا كان لابد من حضوره فانني أرى أن نهدأ ونعامله بلطف ! رغم أنني لا أريد الحرب فوراً ... فهي ستجعل منه عملاقاً قوياً !

مستوها ـ انه يعيش لحظات حزن ومصيبة !

كاسوب ـ ونحن ياسيدي الشيخ ! لقد ذهبت نصف ممتلكاتنا .. ألا يحق لنا أن نحزن أيضاً ! وبفضل من ذهبت هذه الاملاك ؟ بفضل خيانة .

آسوم ـ نعـــم خيانة تجاه الاكبر ... يالفضيحة ! لو علمت بذلك نساؤنا لرفضن مقاسمتنا الفراش !

ستافرو ـ (بهدوء) ان أمر الخيانة هذا غير مؤكد .. وعلى كل حال سنسأل والده الأقرع ، وأنا على ثقة بأن الأقرع يستطيع وضع النقاط على الحروف !

آسوم ـ الذراع المتعفنة يجب بترها والا هلكت جميع أعضاء الجسد السليمة كذلك! الخيانة تلد المزيد من الخيانة .. كما أن العفونة تفرخ العفونة !

ستافرو – انني لأعجب كيف يخون انسان ما أولاده واحفاده وآباءه !.

آسوم – القطة تأكل اولادها عندما تجوع .

مستوها – المثل بعيد التطبيق يا آسوم !

كاسوب – ولكنه كالقط حقاً !.. (يرفع رأسه نحو السماء) ... يا أرواح الأجداد !

ستافرو – لست أدري ما الذي يمكن أن يحدث لو أصابنا مرض الحلم ساعة من الزمن! اننا نرتبك دائماً امام عظائم الأمور بنفس الطريقة التي نصبح عليها أمام صغائر الأمور . كلنا فقد أشياء .. وكلنا يريد إستعادة مافقده ،وكلنا يعرف حق المعرفة ان الأقرع .. الأقرع وحـــده يستطيع ان يقرر مصير المعركة .. لانه يستطيع أن يحارب .. وان لايحارب ...

آسوم – الله ! الله ! إن من يسمعك يظن انه الحاكم المتفرد في هذه العشيرة .

كاسوب – هذا ضعف الرئيس

مستوها – الهدوء ياشيوخي الافاضل . إنني أرى الشيخ آروم قادماً (يتجه الجميع بابصارهم نحو الجمهور) .

(من بين الجمهور يتقدم الشيخ الصغير آروم وخلفه فارس شاب في العقد الثالث من العمر . يرتدي «جلابية» مهترئة ملطخة بالدم . في وسطه حزام ويحمل بيده عصا . شعر رأسه كثيف وهو غير ملتح !)

مستوها – وأرى خلف الشيخ فارساً !!

(يتقدمان .. الشيوخ يقفون .. ثم يجلسون .. يصعد آروم خشبة المسرح وخلفه الفارس، آسوم وكاسوب يديران وجهيهـــما إلى جانب آخر لكي لايشاهدا وجه الفارس . الصرامة والحزن باديان في محيا الفارس).

آروم – هذا هو ياسادتي الشيوخ ! لاتلوموني على هندامه ! لقد توسلت اليه ان يرتدي أفضل ملابسه ولكنه اصر على الخروج والمجيء اليكم بهذا الهندام غير اللائق (ثم يتجه الى مكانه ليجلس) .

الفارس – (امامهم) السلام عليكم شيوخي الأكارم . (يستعرضهم واحداً واحداً بلهجة ساخرة) أهذا أنت أيها الشيخ آسوم !! عرفتك من وجهك

ياسيدي رغم انني لم اتشرف برؤيتك من قبل !.. واظن ان هذا هو الشيخ كاسوب .. المالك العظيم للسهل العظيم !! شرف كبير ياسيدي !

كاسوب ـ (لمستوها) اهكذا أردت ياشيخنا ؟

مستوها ـ (يشير اليه ان يصمت) ..

القارس ـ وأنت اذن شيخنا مستوها ! انك تشبه صورتك المنشورة في الشوارع والبيوت،لولا انك في الصورة تبدو شاباً وجيلاً !! احترامي ياسيدي الرئيس المعظم ! أظن ان حضرته الشيخ الكبير ستافرو .. تحيتي الخلصة ياشيخي ! واخيراً ... انت ساروب ... ياسيدي الشيخ انك تشبه الى حد مـــا شقيقك الشيخ مستوها !... حسناً أيها الشيوخ !! ماذا حدث حتى تنازلتم واستدعيتموني للمثول بين ايديكم ؟ (يلوح بالعصا)

مستوها ـ الخطر !

القارس ـ (بمرارة) الخطر !! الخطر ياسيدي الشيخ !! حتى الكلاب والذئاب تتحد مع بعضها عند تعرضها للخطر .

آسوم ـ (قافزاً من مكانه) أهذا ماجئت تقوله ؟ هل جئت هنا تكيل الينـــا الاهانات .. الا يكفي أنك دنست هذا المكان بحضورك ؟

القارس ـ لاتتعب نفسك أيها المبجل .. أنا ذاهب (يهم بالنزول ...)

ستافرو ـ أيها القارس الأقرع ... عد أرجوك !

القارس ـ (يستدير) بالمناسبة .. منذ اكثر من ثلاثين عاماً .. اكثر بكثير .. وأنا أتساءل لماذا سميتموني « الأقرع » !

(ضحك من الجميع ماعدا ستافرو)

آسوم ـ هذا واضح ... لأن الشعر لاينبت في رأسك الكبير !!

القارس ـ لعل الشمس ياسادتي بدأت تشرق من الغرب !

كاسوب ـ ماذا تعني بهذا ؟ أتهيننا مرة أخرى !

آسوم ـ كلا .. كلا .. ان هذا لايحتمل .

ساروب ـ لايطاق بالفعل .

الفارس ـ لستم مجبرين على ذلك أبداً !! ما عليكم الا الأمر . . هه . هه . وما على فارسكم الا الطاعة والتنفيذ ! (يغير الموضوع فجأة ويصبح حاداً غاضباً) الخطر اذن ؟ الخطر !! من الذي دفع الثمن ؟

مستوها ـ لقد دفعنا جميعاً ! الأراضي والدماء !

آسوم ـ وثمن ماذا؟! ثمن الخيانة ؟

الفارس ـ الخيانة (يقترب منه متوعـداً بعصاه) الخيانة يا آسوم ؟ أنت تتحدث عن الخيانة ! (يتقدم) كلا ... كلا ... ان هذا لايحتمل ! (يصرخ) لقد بدأ القمر يغيب في ذراع الملك . قل يا آسوم ... من هو الخائن ؟

آسوم ـ إبنك الأكـبر يا فارسنا الأوحـد . نعم .. ذهب مع غانيـة اسمها ايفيت .

الفارس ـ (بهدوء) يحيرني الآن أمر .. كيف عرفت اسم الغانية ؟

آسوم ـ إنها غانية مشهورة .. صديقة الكولونيل .. كل القبائل تعرفها جيداً .

الفارس ـ الخيانة كلمة كبيرة وخطرة يا آسوم (يشير اليه) خائن ..... تعني الموت، تعني الدمار . أولادي يعرفون أشياء كثيرة .. لقد قرأت عليهم التاريخ. سأقص عليكم حكاية .

آسوم ـ اهذا وقت الحكايات .

الفارس ـ (كأن آسوم لم يعترض) رويتها لأولادي مرتين (يقف بينهم كالخطيب) ... الفارس رب العشيرة .. كان يحميها . يجمعهـا مساء كل يوم .. يمتطي جواده .. يمتشق حسامه .يسابق الجواد الريح ويلمع الحسام في الهواء يعكس الشموس . ويصرخ الفـارس : من المنازل ؟ هـل من منازل ؟

كاسوب ـ حكاية مملة .

ستافرو ـ رائعة .

الفارس ـ (مستمراً) ظل الفارس الأوحد على هذا المنوال ردحاً طويلاً وليس

من منازل . اختفى الشجعان .. ذهب الرجال . كانوا يرون الحسام يقص الريح فيملأ الخوف قلوبهم والفخر رؤوسهم . « فارسنا همام لايستطيع أحد مجرد تحديه .. فارسنا يرفع الرأس » هكذا كانوا يتحدثون . وذات يوم -والفارس يستعرض القبيلة وهو على جواده- خرج من بين الصفوف أعرج . نعم رجـــل أعرج لايحمل شيئاً ! لاجواد .. لاسيف . وصرخ بالفارس الأوحد : أنازلك المنــــازل . ضج الرجال ضحكاً وهتفت النساء بالعار : « اعرج يتحدى الفارس الأوحد ! »

ضحك الفـارس . اعتبرهـــا دعابة . وطلب الى الاعرج العـــدول عن قراره . ولكن الاعرج اصر على التحدي . ترجـــل عن الجواد وقال : « ليعط سيفـــاً ، ولتربط ذراعي اليمـــنى بظهري . ولسوف اقفز على ساق واحـــدة لكي اصبح مثـــله » . ثم صرخ : « سانازلك باليسرى يا اعرج الكلب » !! وضحـــك الأعرج . بين الضجيج والضحـــك بدأت المبارزة ! .. ياآسوم .. ماذا كانت النتيجة ؟

آسوم ـ مات الاعرج !

الفارس ـ هنا الخطأ ! مات الفارس ! طعنة نجلاء من الاعرج قتلته !

كاسوب ـ ولم هذه الحكاية ؟

الفارس ـ لاشيء : لقد رويتها لأولادي مرتين فقط !

مستوها ـ (يتنحنح) .. أيها الفارس الاقرع لقد جئنا بك..

الفارس ـ (مقاطعاً) لانكم في خطر ... ووقعت خيانة ! (يتجه الى آسوم) آسوم .. ولدي الاكبر خائن ؟ دليلك لاقتلعن جذوره من الارض فور ! . انظر هنا (مشيراً الى بقع الدم) هذا دم اصغر احفادي . قبل قليل لفظ آخر انفاسه على ركبتي (بهدوء) خضب دمه الطهور ملابسي التي لاتليق بمقامكم ! جاءني جريحاً .. لعل دمه بلل الأرض كلها .. لقد زحف المسافة متراً متراً وهو مصاب .. ليأتي الي بالاخبار ! (محتداً فجأة) .. خيانة ياآسوم ! هل تعرف اين ولدي الاكبر الآن ؟

آسوم ـ في احضان الغانية .

الفارس ـ بل هو رهينة عند العدو يا آسوم ! هل تسمع ؟ إنه أسيرهم وبه يهددونني . . أود ان اطرح عليك ، انت بالذات ، سؤالا ساذجاً ! من الذي يعلم بمكان ابني الاكبر ؟

مستوها ـ مجلس الشيوخ فقط !!

الفارس ـ كيف توصلت اليه الغانية اذن ؟

آسوم ـ ماذا تعني بهذا السؤال ؟ هل تتهم احداً منا بالخيانة ؟ إذن يا اقرع .. الى هذا الحد وصلت وقاحتك !! يالخسة ! انني مضطر يا سادة ، للخروج من هذا الاجتماع (يتوجه الى الجمهور لينزل ..)

الفارس ـ سيدي آسوم (يقف آسوم) ان انسحابك يعني أحد امرين او كليهما : اما انك تخشى افتضاح امر ما ، او انك هزمت !

آسوم ـ (متراجعاً) سوف لن أدع واحداً مثلك يشكك بي او يهزمني (ملتفتاً الى مستوها) سيدي الرئيس .. (يسير الى جانب الفارس . . لقد تنازلنا بناء على طلبكم وطلب الأخ ستافرو وقبلنا بفرض امر واقع ، هو وجود هذا الاقرع بيننا ، فكأنه شريكنا في الحكم . . . بل لكأنه الحاكم بأمره ! أرجوان يكف عن الاهانات بعد هذا ، واذا كان نجله الاكبر أسيراً فليأت الينا بالبراهين !

كاسوب ـ هات ماعندك ايها الفارس ؟

مستوها ـ نعم .. وانا مصغ جيداً !

الفارس ـ لم احضر الى هنا لكي تجري محاكمتي او استجوابي اولا ، وثانياً اعلمكم جميعاً بأنني حضرت الى هذا المكان احتراماً للشيخ ستافرو فقط ولولا ذلك لما جئت !

كاسوب ـ تعني أنك كنت أعلنت العصيان !

الفارس ـ لكم ابدو ساذجاً اذ اصدق بأن الارض لاتدور !!

آسوم ـ بدأ يتكلم بالألغاز !

الفارس ـ لغتي لايفهمها ، مع مزيد الأسف ، غير أولادي واحفادي ،

ماتعلمتم جمعاً الاصغاء الي ، ولاتعودتم حضوري بينكم . . (الى آسوم بلهجة قاسية) أوه ألا تقلب الموضوع وتضيع في متاهات لاتؤدي الا الى طرق مسدودة !! اريد ان اعود الى الموضوع الذي ازعجكم !

ساروب ـ ليتني افهم كيف تجري الامور في هذا المجلس .

كاسوب ـ بل أريد ان افهم من يحكم هنا ؟

آسوم ـ نعم !! من يحكم هنا ؟

آروم ـ نعم ، من يحكم هنا ؟

ستافوو ـ (بهدوء) شيء مدهش .

الفارس ـ انتم الحاكمون بالطبع . من ينازعكم ياسادتي الشيوخ ؟ أنا ؟ آه . . ما ألذ أيام عذابكم (ينقلب الى شرس) أنت يا كاسوب ، ياوريث العظماء الكبار ، أنت (يشير اليه بالعصا) أوه أن افتح لك صفحة من صحائفك البيض الناصعة . . وإمامك هنا . . فأنا أحترق شوقاً منذ الصغر لهذه اللحظة . . أريد شيئاً من الحساب .

ستافوو ـ وماجدوى ذلك يافارسنا العظيم ونحن في محنة ؟

الفارس ـ ستافوو يقول هذا ! ستافوو المعلم الأول المخدوع ! كلا ياستافوو . . الماضي لابد منه . . الشعلة . . الشعلة التي لاتستطيع العواصف المجنونة إطفاءها . . (لكاسوب) هل أخلع ملابسي لعل عينيك الحمرتين غضباً تكتويان برؤية التلال التي زرعتها في ظهري وصدري ؟ هل تذكر جيداً ياسيدي كاسوب كيف قتلت طفلي الاصغر قبل اربعة عشر عاماً أمام عيني ، لم تحجبك نظراتي الحزينة ولم تخفك سهام الغضب أرشقها في وجهك . . وجهك المجرم . . انك . .

كاسوب ـ اخرس ! لقد تماديت كثيراً . . انني . .

الفارس ـ فليخرس من يلفظ الحقيقة ! صراخك ياسيدي لايرعبني ولن يرعبني . . انت اليوم بحاجة إلي . . الى دمي . . الى عرقي . وهذا مايجعلك عاجزاً عن القيام بأي عمل .

مستوها - يا فارسنا الأوحد .. نرجوك دفن الماضي !

الفارس - (مشيراً إليه بالعصا مهدداً) نسيت ان أتحدث معك يامستوها الكبير ! نسيت ان أقرئك صفحة دامية من الصفحات التي سجلتها بدمي ذات يوم ! الانتقام .. الانتقام لاجل المرحوم والدك ! ذلك الإنسان الضعيف الذي كان ألعوبة آل كاسوب ، كما انت الآن ، لعله الآن يندم في قبره الفخم .. هل تريد ان تطل عليه .. على عظمه الملكي المقدس .. لعله يكويك بنيران الندم ! مستوها فلتصمت !! يجاريك هؤلاء لا خوفاً منك ولا احتراماً لك .. بل خوفاً مني .. أنا الفارس الأقرع .. وأقولها .. أقرع .. لأنني وصلت الى النهاية بفضلكم ياسيدي الشيخ !

مستوها - لن أندم ما حييت على شيء قدر ندمي على المطالبة بدعوتك لحضور هذا الاجتماع .

الفارس - تعني هذه المهزلة ياسيدي مستوها (يلتفت فجأة الى آسوم) . . آسوم .. أيها الثعلب في ثوب قرد .. (يتململ آسوم متوعداً ..) صه يا آسوم! لست أخافك اليوم .. ارفقتك ياسيدي ذهبت .. تريد اهدار دمي من اجل ان تستغلني من جديد .. لقد وجدت والله جيراً تحطيها وثيراناً تحرث بها ، ولكنك لن تجد واحداً منها بعد اليوم !

ستافرو - (بهدوء غاضب) أيها الفارس . . أناشدك باسم الارض التي رويتها بدمائك أن تهدأ .. وتكف عن الصراخ !

الفارس - (بهدوء) أمر مولاي ستافرو .. مُرْ وأنا أنفذ . . أتريدني ان احرق نفسي الآن ؟

ستافرو - حاشا لله يا فارسي العظيم . . لقد عشت طويلا .. ينهض ويقترب منه وهو يتحدث . . وتوقعت كثيراً . . توقعت ان أرى القبيلة تحرق بعضها بعضاً .. ان أرى الرئيس تسيل عيناه ويستبدل بخصي . . ان أرى الارض تلبث الكلاب ! ولكني لم اتوقع ، يوماً ، رؤية هذا المشهد أمامي . . بينك أيها الصائن المصان وبين الشيوخ المبجلين !

الفارس - (بهدوء وهو يمسك يد الشيخ) لقد أخطأت حيث يجب ان تصيب !

كاسوب ـ كأننا في موكب عزاء !

ساروب ـ اوه أن أبكي .

آسوم ـ الضعف . . العنف

الفارس ـ (وهو يشد على يد ستافرو) اعذره ياسيدي واعذرني . اعذره لأنه لم يعتد غير الغدر والمكر واعذرني لأني لم افق الا اليوم على الحقيقة . لقد فتحت عيني على الدم . . تكحلت به . . وارتوت الارض التي اقتسمتوها بدماء ابنائي واحفادي .. افتح عيني اليوم لأرى الركب بعيداً .. بعيداً .. والرؤية لا تدركه رغم شدة الوضوح .

مستوها ـ (بصوت عال جداً) ياسادتي جميعاً .. الهدوء ! لقد قلنا منذ البدء بأن المفاجأة افقدتكم اعصابكم .. نريد الهدوء .

الفارس ـ تفضلوا .. ماذا تريدون ؟

كاسوب ـ ان تحارب .

الفارس ـ أنا ؟

كاسوب ـ بالطبع ، من غيرك يستطيع الحرب ؟ من غيرك يستطيع قهر الغزاة ؟

الفارس ـ سبحان الله ، الذئب يصبح حملاً وديعاً في ثواني معـــدودات ، لم لم تصبر قليلاً حتى ينسى الحضور ماجرى بيننا قبيل لحظات ؟

مستوها ـ هل نعود من جديد الى المهاترات ؟ أمامنا عدو ومحنة .. ارضنا مسروقة .. و .. و . . .

الفارس ـ ارضكم مسروقة ؟

كاسوب ـ أجل .. أجل !

الفارس ـ صاحب الارض وحده ينبغي ان يدافع عنها ويستردها . وعلى هذا الأساس لا دخل لي في هذا الامر ياسادة (يتجه نحو الجمهور ويهم بالنزول) . . أدامكم الإله .. والسلام عليكم .

ستافرو ـ (يقفز نحوه كأنه يريد ان يخرج من جلده .. ويتشبث به) يا أيها الفارس الاقرع !. ابق قليلاً واسمعني .. يا ابن الارض الطيبة أرجوك باسم الارض .

الفارس ـ (ملتفتاً الى الخلف) أرض من ؟

مستوها ـ ارضنا جيعاً يافارسنا .

الفارس ـ جيعاً ؟ جيعاً من ؟

ستافرو ـ (وهو ما يزال متشبثاً بالفارس) انَّ من يحرث الارض ويرويها بدمــائه هو صاحب الحق فيها .

الفارس ـ ماذا تقول ؟!

مستوها ـ لم يعن ما قاله بالضبط . اراد ان يقول انك الذي تحرث الارض وتحصدها وأنت مكلف بحمايتها .

ستافرو ـ كلا ... لقد عنيت ما قلته .

ساروب ـ يا للمصيبة .

آروم ـ تفه .

كاسوب ـ كارثة .

الفارس ـ ماذا تقول يا سيدي ستافرو .

ستافرو ـ اعني ماقلته يا ابن الارض .

الفارس ـ (يحتضنه ويقبله) ولكن هذا الذي تقوله خطر عليك يا سيدي الشيخ . لقد أعدموا حرقاً ثلاثة من اولادي لتمردهم .. لمطالبتهم بجزء من الأرض التي يحرثونها ويصونونها ويروونها بدمائهم واعصابهم !

آسوم ـ (مذهولا) ارجو ان لا يكون ستافرو قد عنى ما قاله حقيقة !

ستافرو ـ (بهدوء) ولكنها الحقيقة يا آسوم !

آسوم ـ (كالحالم) الحقيقة !! الحقيقة !! ما هي الحقيقة يا ستافرو ؟ إنهــا قضية نسبية ! !

الفارس ـ أجل نسبية !! اجل .. نسبية ! قد تراها من زاوية « أنا » وقد أراها من زاوية « نحن » .. وهذا فرق جوهري !

آسوم ـ (صارخاً) ان ستافرو لم يعن ما قاله !

ستافرو ـ بلى يا آسوم اعني ما قلته .. هذه الارض له .. ومن حقه ان يدافع عنها.. بل يجب عليه ان يدافع عنها !

الفارس ـ أرضي ؟ أرضي انا ؟ للمرة الأولى اسمع هذه النغمة (برعب) ستافرو ... ستافرو !! هل تريد ان تخدعني ؟

ستافرو ـ أنا ؟

الفارس ـ (بنفس اللهجة) أخشى ذلك . تريد ان تقنعني بأن الأرض لي وبأني يجب ان ادافع عنها من اجل ان احارب . آنذاك ، بعد ان استعيد الأرض ، تعود القسمة كما كانت .

آسوم ـ يا للوقاحة .

كاسوب ـ يا اجدادي ... يا عظماء كاسوب .. ابصقوا على هذا المكان .

آروم ـ (ينهض) ، أيسمح الشيوخ الكرام للشيخ الصغير بالحديث ؟

مستوها ـ فليتفضل .. لعل اصغرنا يكون أعقلنا !!

آروم ـ إنني منذ الآن انسحب من هذا المجلس !
(يغادر مكانه ويتجه نحو الجمهور)

آسوم ـ لماذا يا آروم !

آروم ـ لأنه لم يعد يطاق بوجود هذا الرجل ! لقد اعطيتموه اكثر مما يستحق ، فطغى وتجبر وتطاول حتى على حقوقكم وأنتم تسمحون له .. لا .. هذا لا يحتمل .

الفارس ـ (يشير اليه ويمسك يده) ... مع السلامة ايها القزم !

آروم ـ (يصفع الفارس) إخرس يا ابن القامة السافلة !

الفارس ـ (يمسح وجهه بيده اليسرى ويمعن النظر في العصا) حتى هذه العصا ستدلس ان هي اكلت من جلدك الخنزيري يا قزم ! اني اصفح عنك ... مؤقتاً .. فغضبي لم يصل حده بعد . وعندما يصل حده فالويل ... للجميع ! .. الويل للجميع !

آروم ـ (نازلاً عن خشبة المسرح ماراً بغضب امام الجمهور) يا للخسة والنذالة !

أيتها السماء ، لن استغرب ان أنت قذفت القذارة في وجوهنا وعيوننا وملأت رؤوسنا بالعفن ! !

آسوم – أهذا ما أردته يا ستافرو ؟

ستافرو – (بهدوء) لقد كان الفارس رحيماً به (يتقدم نحوه) أضرع الى الله ان يديك .. ويمد في حبل صبرك أيها الفارس !

الفارس – يمد في حبل صبري لكي يتسنى لي تلقي المزيد من الاهانات ! ! الفأرة لا يرضيها التطاول على الهرة ، بل تتطاول على الأسد في كثير من الاحيان !! .. والحلم سيد الاخلاق ! ان الدمار سيعم الرعية لفساد الرعاة . لو كان الرعاة ساهرين لما هجم ذئب قذر على اية عنزة أو حمل !

مستوها – (بغضب) وأنت يا ستافرو .. انت الذي سببت هذا بلينك .. لقد أردت ان تقول شيئاً فاخطأت .

كاسوب – اللين ... اللين ... لست ادري من أين جاء . (يشير الى مستوها)

آسوم – فليعترف ستافرو بخطيئته .

ستافرو – انها الحقيقة أيها الشيوخ . ما نحن الا مغتصبون .. مثلنا مثل الغزاة .

آسوم – هذا عار آخر يجره وجود الأقرع بيننا .

كاسوب – هذه ارادة مستوها الضعيف .. يريد ان يكرر ما حدث في عهد المرحوم والده . يا اجدادي العظماء ان ..

الفارس – (بصوت عال) صه (بهدوء) أيها الشيوخ الاكارم .. لا تتخاصموا .. لن ازعجكم في شيء .. (يذرع الغرفة) .. لم ادع الى هذا المجلس قط .. رغم كل السنوات التي عشتها .. إيه .. حرمتموني من نعمة التقرير وفرضتم علي جحيم التنفيذ الاعمى ... كنت أفعل ذلك رحمة بالعشيرة وبوحدتها وصوناً لها من الاذى ، فإذا بها تصبح بين عشية وضحاها اضحوكة الذي يستحق والذي لا يستحق . هه .... يا للعار .. يا للعار .. عاري وعاركم !! عاري لأنني جبان ، وعاركم لانكم الحكام . ولكن ما حيلتي ايها السادة ؟ أتصور نفسي الآن أقف امام التاريخ . . . أنا الفارس الأقرع ، ماذا سأقول له ؟ أأقول له : كبلوني بالسلاسل .. جعلوني رقاً

طوال عمري ؟ استخدموني بكل ما ملكوا من وسائل .. بل لقد اوشكو ان يستملكوني ويلقوا بي الى البحر .. الى كلاب البحر .. الى الجحيم .. زوايا النسيان (بصوت عال متهدج) أيها التاريخ حرموني من نسمة الريح الشها .. ومن قرص الشمس اعانقه ، أيها التاريخ ياأعظم مصدق وصادق .. ويا أجل حاكم .. ماذا تحكم على فارس لا يملك الا العصا يهش بها على غنمه ويطرد الذباب عن اجساد القتلى من ابنائه .. واحفاده ... المساكين ؟ (يلتفت كأنه يلشج) يا سادة .. يا سادة .. ماذا ابقيتم في يدي من قوة ؟ ها . ها . ها . تريدونني ان احارب .. ! ان اعود عبداً بعد ذلك ... ولكن ماذا ابقيتم في يدي من قوة (يشير بالعصا) هذه العصا (يرميها في الوسط) خذوها .

(يقف الجميع مندهشين .. يسير الفارس .. ينزل عن خشبة المسرح .. يسير نحو الجمهور ... تخفت الانوار ... مع ظهور صوت العجوز الخافت المتهدج)

صوت العجوز ـ لقد كفت السماء عن المطر ... أولادي

لقد كفت السماء عن المطر

لقد .. كفت ... السماء

.. عن

المطر

« ستار »

الوجه الذي لا يغيب (١)

مجموعة شعرية

نزيه أبو عفش

عرض وتحليل : ميشيل كيلو

عندما تصفحت الديوان ظننت للوهلة الاولى ان الشاعر قد أخذ عنوان احدى قصائده المهداة الى ارنستوتشي جيفارا، وجعلها عنواناً لديوانه ، ولكنني مالبثت ان اكتشفت أن هذا « الوجه الذي لا يغيب » ليس هو وجه جيفارا فقط، بل هو وجهك ووجهي ووجهنا جميعاً ، نحن شباب هذا الجيل الذي مزقته التركة وأعياه البحث عن هويته وطريقه . إنه وجه « الانسان » الذي قطع الحبل الذي يربطه باحدى ضفتي النهر ، ولكنه اكتشف وهو في وسط التيار أن الطرف الاخر من الحبل مقطوع أيضاً ، وان الشاطىء لم يعد مشكلة حبل تتعلق به ، بل هو

(١) الطبعة الاولى ١٩٦٨ « لم يذكر اسم دار النشر ولامكان الطبع » .

مسألة مصيرية لابد للوصول اليها من الصراع مع الموت المتجسد في ألف صورة. هذا المنطلق لا يعطي للديوان صبغة تشاؤمية ، بل تساؤلية كذلك ، ولكنها على كل حال ليست تساؤل من يفتح فمه ويقف مشدوهاً أمام العالم ، بل من يسأل ويفكر ويفتش ، وان كان لا يملك القدرة على الوصول الى الحل ، ولا يستطيع أن يملكها أصلاً ، لأنه يفتش عن المشكلة حيث لا وجود لها . إن وضعاً كهذا دفع بكثير من شعرائنا الشباب الى نوع من الذاتية « العامة » . انهم يفترضون أن ذواتهم هي شطيرة من الكل الاجتماعي ، تحمل كل صفاته وتتمتع بكل مزاياه ، لذا فهم يتصورون أنهم بحديثهم عن ذاتهم ، انما يتحدثون عن هذا « الكل الاجتماعي » وبرؤيتهم للمشاكل ، فانما يرونها ويضعون الحلول لها باسم « الجميع » ، وفي هذا يكمن المنطلق الخاطىء المضلل الذي ينعكس اول ماينعكس على ذواتهم فيقنعهم بأنهم « ممثلون » للجيل ، ولا يمكنهم بهذه الصفة إن يكونوا أحسن بهم ، اذ أن العيب ليس فيهم ، بل في الجيل نفسه . ان موقفاً كهذا هو بلا شك موقف غير ثوري ، اذ أنه موقف التزامي آلي لا يسعى الى تجاوز ماهو قائم ، بل الى الانتكاس اليه والالتصاق به ، وهذا مصدر آخر من مصادر التشاؤم ، لأن منبعه هو العجز :

أماه اضعتك والاحباب
في زحمة هذا العمر الأحمق
عانيت سواد الساعات المصلوبة
والطفأت في شباكي الشمس

* * *

أماه ذكرتك هذا اليوم
للطفل الهاجع خلف جدار الجلد
الشاحب
عيناه تفتحتا ...
... والحزن ، ووجه اليأس تفتح
والصمت تفتح في ثغرات الوجه
الغاضب
غنى للأرض كثيراً حتى انهار

يبست في عينيه الغابات الخضر
وتحت قيعان الأنهار
أماه فهذا العمر يضيق ،

وبعد هذه السلسلة من الحزن واليأس والتشاؤم يتذكر الشاعر جيله ، هذا الجيل الذي اصطلحنا على تسميته « جيل الثورة » فيقول :

والنسغ سيركض في الأوراق
سيغني في كل الأوراق
وسيعرف كل دعاة الغلبة
أننا الاطفال
الصبح لنا
وجياد الخبز ... والريح
ولنا مفتاح سماوات العمر الأحق .

مركبة الرغوة (١)

ديوان شعر

محمود السيد

قال كولن ويلسن في كتاب (اللامنتمي): «إن الأديب الحق هو ذلك الذي يخلق عالماً كاملاً في ذرة رمل». ويبدو ان اكثر أدبائنا يحولون العالم الى حبة رمل صغيرة، او الى حبات رمل متماثلة. ان اكثرهم ينتمون الى مدرسة أدبية نشأت في العموميات ولا زالت غارقة فيها، وإذا كان ديوان الأستاذ محمود السيد لايقع في خطأ التعميم دائماً، فان التقريرية فيه واضحة، وقد يكون منشؤها عائداً الى هذه العموميات:

«أنا إنسان كقومي البسطاء
أقطع العمر صلاه
وقرابين وأحلاما سخيفة
وحكايات مخيفة
فأنا لست مخيّر
قوة تدفع أقدامي الضعيفة
شئت هذا، أم أبيت

(١) دار رؤيا ١٩٦٨

أم ترى غنيت ، أم أني بكيت .
فأنا عبد دمائي الآدمية
عبد طيني ،
عبد وحش لا أراه ،

. . .

فأنا لاأملك من أمري إبتداء وانتهاء
ذرة تلهو بها ريح القدر
فهي للخير وللشر سواء !! ».

هذه التقريرية التي تحدثنا عنها — والتي قلنا انها نشأت في حضن التعميم — تتجلى في المباشرة التي تمتاز بها هذه القصيدة . إن العالم يصبح هنا حبة رمل لا موقف فيه ، لأن حبة الرمل لاتتسع لشيء ، بينما الفن والأدب مواقف تفرض نفسها علينا ، ليس في محتواها ، بل في وجودها . أما هنا فنلاحظ العكس ، إن المحتوى موجود ومفروض — تماماً كما هو موجود عند نزار قباني وإيليا ابي ماضي — ولكن لا أثر للموقف الذي يشقق العالم ويفتحه حتى نراه أمامنا و كأننا نحن الذين صنعناه . إن العمل الفني يعتبر كذلك لأنه يقدم لنا كائناً ما ، شيئاً ما ، نعرفه جميعاً ونحس بوجوده من خلال موقف متفرد لايراه عادة غير الفنان ، فاذا مانقل إلينا أحد ما هذا الكائن او الشيء كما نعرفه نحن عادة ، أصبح من الصعب التحدث عن عمل فني .

لست أزعم ان هذا هو الحال مع « مركبة الرغوة » ، ولكن هذه الموهبة الشابة يجب ان تخرج من الإطار الخانق ، إطار العموميات ، لتنطلق الى المواقف ، خاصة وانها تملك كل ماهو لازم لذلك .

رؤيا في الطريق (١)

مجموعة قصائد

الياس طعمة

يتضمن هذا الديوان مجموعة قصائد تحت عنوان « رؤيا على الطريق » ، كما يتضمن قصائد اخرى ، « عرس في مدينة الظلال » ، « وجوه فارغة » ، « صلوات في بلاد الظلال » ، « الوحش » ، « وردة الصباح » و « اغنية الى الآتي » . وعلى الرغم من أن القصائد التي يضمها الديوان تحت عنوان « رؤيا على الطريق » تظهر ترابطاً داخلياً بتقديمها شرائح مختلفة من هـــذه « الرؤيا » ، فان قصائد الديوان بكامله تظهر ايضاً ترابطاً بينها ، يجعلها تنصب جميعـــاً على موضوعات اجتماعية انسانية . ففي قصيدة « في السوق » وهي اولى قصائد رباعية « رؤيا على الطريق » نرى نماذج بشرية مختلفة يبيـع كل منهـا شيئاً ؛ واحد يبيـع ما لم يكن بالامكان الاحتفاظ به ، وآخر يبيـع الخزعبلات والدجل ، وآخر يبيـع الحاضر والمستقبل

(١) مطبعة دار الكتب ـ بيروت ١٩٦٨

والتاريخ، والجميع يتاجرون، يبيعون، «وهذه حال الدنيا». إن هذه القصيدة محاولة لإلقاء ضوء على الواقع المزيف المخادع الذي كنا نعيش فيه، ولا زلنا نحياه ونعاني منه، والذي سبب لنا الكثير من المآسي.

هذه هي فكرة الشاعر، أما تعبيره الشعري عنها فهو أحياناً غير موفق، لا بل ركيك:

البائع التاريخ مازال يدور
يشق في الزحام
دوباً له، وصوته يغور:
«المجد والكرامة
وبذلة الشهامة
لفارس شهم غيور
في حفرة الدهور
في بيعة واحدة أخيرة
وقفة أميرة
تبرجت في خدرها ... عروس
في صدرها
كل ما آتي الزمن اليبيس»

هذه الصورة مطروقة من قبل، وهي فضلاً عن ذلك تقريرية، وقد يكون ذلك هو سبب ضعفها. وعلى كل حال فان هذا الديوان هو أول عمل شعري كامل للاستاذ طعمة، ولا بد من أخذه بعين الجد والتقدير.

●

سنوات الحزن (١)

مجموعة شعرية

روبير غانم

يلاحظ في هذه المجموعة أن القصائد فيها مرتبة بحيث تتدرج في التوتر من ذكريات الطفولة المليئة بالأحلام الى مرحلة اليأس :

ياما على رؤياه
حلمت ما أشتهي
والشمس كانت في يدي حور
ياما على رؤياه
حلمت أني فارس أمير

ويستمر تفاؤل الأحلام في الحب :

على يدي عبرت سنونك الأسيرة
وفارس ناداك ياأميرة :
لك الغيوم والشهب
لك الوجود لعبة صغيرة

ولكن خيبة الأمل تبدأ عندما يستفيق من الحلم :

أصعد من جزيرتي الوحيدة
أصير في وجودها سراب

وتؤدي الهموم الصغيرة إلى علامة استفهام :

لأني علامة استفهام
لأني نكرة مبتورة
أودّ لو تلقني الأيام
فأنتهي وتنتهي الأسطورة

وتنتهي الحيرة إلى الهذيان :

أهذي وأبني عالماً وهميا
أصير في وجوده نبيا
أبدل الزمان بالمكان
لاشيء غير الوهم في يدي
لاشيء غير الحلم والهذيان

(١) دار الصياد – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٨

المنجد الأبجدي [1]

معجم عربي جديد ، مبسط ، سهل الاستعمال ، كبير الفائدة للطلاب .

يتميز عن المعاجم الأساسية (لسان العرب ، تاج العروس ، المحيط الخ . .) بميزتين : الأولى كون الكلمة المشتقة موجودة فيه مستقلة عن الكلمة الأصلية . فأنت تستطيع أن تجد كلمة (إعلام) دون الرجوع الى كلمة (عَلِمَ) .

والثانية أن كثيراً من المفردات الدارجة ذات المعنى العصري مثبتة في صفحاته ، بينما لا نجد لها ، أو لمعناها الرائج اليوم ، أثراً في المعاجم القديمة . هكذا تفتح الصفحة التي تقع فيها كلمة الانتهازي فتقرأ بجانبها :

الانتهازي (نهز) : من يخضع مبادئه لمصلحته المؤقتة . وبوجه عام من يتصرف حسب الظروف .

وكلمة : الاشتراكية (شرك) : مذهب غايته تغيير شكل المجتمع بجعل وسائل الانتاج مشتركة ، وتوزيع الأموال على المجموع ، وتقسيم العمل المشترك ومواد الاستهلاك بين الجميع .

وكلمة : الدكتاتورية : حصر السلطات الحكومية كلها في يد شخص (لاتينية) .

وقد يكون في هذه الشروح تبسيط شديد ، إلا أنها تظلّ مع ذلك ذات فائدة ملموسة بالنسبة للقارىء المتوسط .

---

(١) منشورات دار المشرق – بيروت

تصفية الكيان العنصري في اسرائيل

عرض وتقديم : هشام الدجاني

مازال قضية العدوان الاسرائيلي محط الدراسة والتحليل في المجلات العربية الفكرية. وبحث قضية العدوان الاسرائيلي يستلزم بالتالي بحث وسائل صد هـــذا العدوان ومقاومته. وتصفيته. والدراسة التي كتبها الاستاذ عادل حسين تحت عنوان : **« الطريق لمواجهة العدوان وتصفية الكيان العنصري في اسرائيـــل »** في مجلة الطليعة (١) دراسة جيدة وشاملة لجوانب كثيرة، وفيما يلي أهم ماجاء فيها :

لا ينبغي أن ننظر الى الأصوات التي تنادي بالعدوان في اسرائيل على أنها مجرد مناورة . انها أصوات تعبر عن النوايا الحقيقية التي تحرص اسرائيل على تحقيقها، وهي أصوات يرتفع بها المسؤولون في اسرائيل كتعبير حقيقي عن اهدافهم .

يقول بن غوريون عـــام ١٩٥٠ : « فليفهم الجميع ان اسرائيل قد قامت

(١) الطليعة – العدد ٦ – حزيران (يونيو) – ١٩٦٨ – القاهرة .

بالحرب وانها لن تقنع بحدودها وان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات » .

وفي الكتاب السنوي الحكومي لعام ١٩٥٥ أعلن رسمياً ان « خلق الدولة الجديدة لاينقص بحال من الاحوال اطار الحدود التاريخية لأرض اسرائيل » .

ولا شك أن الانتصارات العسكرية لاسرائيل هي فرصة عظيمة لتحقيق ماتصبو اليه ، ولذا فان رغبتها في الاحتفاظ بالاراضي العربية هي رغبة اكيدة ، مالم ترغم على غير ذلك .

والقادة الاسرائيليون لم يخفوا هذه النوايا منذ حرب حزيران .

فقد قال موشه ديان في آب ١٩٦٧ : « لن نعود الى اتفاقيات الهدنة والحدود التي نصت عليها » كما قال « ان قواتي ينبغي أن تبقى في سيناء . ان القدس ينبغي أن تظل عاصمة اسرائيل وتحت سيطرتها .. ان اسرائيل يجب ألا تتنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية من الأردن » .

والمتتبع للمناقشات التي تديرها الصحف الاسرائيلية والصهيونية منذ حزيران يدرك اصالة هذا الاتجاه التوسعي في اسرائيل .

هل الظروف مواتية لتوسع اسرائيل ؟

لقد توفرت لاسرائيل من قبل عدة عوامل لتحقيق هذا التوسع على حساب الأرض العربية . فالاضطهاد العنصري لليهود في اوروبا وفر اسباب الهجرة التي هي احد اهم عوامل التوسع . كما أن الدعم البريطاني للحركة الصهيونية ومساعدة السلطات الاستعمارية البريطانية لهذه الحركة في ارض فلسطين قد شجعها على التوسع .

ولكن هل ماتزال الظروف مواتية لتوسع اسرائيل ؟

كلا ! ان الصورة تختلف الآن .

فمع الهزيمة العسكرية والفكرية للنازية انحسرت موجة الاضطهاد العنصري ضد اليهود . وبالتالي فان حافز اليهود على الهجرة تحت تأثير الخوف قد تناقص الى ادنى حد .

ومن ناحية ثانية : ان اليهود (الاشكيناز) الذين تعتمد عليهم الصهيونية في بناء دولة متقدمة علمياً وتقنياً يعيشون في رغد من العيش في اوروبا وامريكا . ونجاح او فشل الحركة الصهيونية يتوقف على نجاحها او فشلها في اجتذاب هؤلاء اليهود . ولكن هؤلاء اليهود لا يرغبون في الهجرة الى اسرائيل ، فهم يعيشون في مستوى معاشي مرتفع ، وهم يعيشون في أمن واستقرار بعد انحسار موجة الاضطهاد العنصري في اوروبا . أما يهود الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية (اكثر من ٣ ملايين) فان القرارات التي اتخذتها هذه الدول بمنعهم من الهجرة بالاضافة الى بعض العوامل التي ذكرناها ، قد منعت تدفق الهجرة الى اسرائيل كذلك .

وللمقارنة بين نسبة هجرة اليهود من الاقطار الآسيوية والافريقيـة واليهود الاوروبيين والامريكيين نذكر هذه الأرقام :

ان المهاجرين اليهود من مواليد آسيا وافريقيا ازدادوا من ٧٠ ألفاً عام ١٩٤٨ الى ٦٤٣ الفاً عام ١٩٦٤ . أما المهاجرون اليهود من مواليد اوروبا وامريكا فقد زادوا في نفس الفترة من ٣٩٣ الفاً الى ٧١٤٠٥ الفاً . معنى هذا أن مهاجري آسيا واوروبا زادوا ٥٧٣ الفاً ، بينما زاد مهاجرو اوروبا وامريكا ٣٢١ الفاً . ومن الجدير بالذكر أن ٢٧٠ الفاً من مهاجري اوروبا وامريكا قد جاؤا بين ١٩٤٨ — ١٩٥١ بينما لم يأت سوى ٩٣ الفاً فقط في المدة الواقعة بين ١٩٥٢ — ١٩٦٤ .

ثم ان اليهود الذين هاجروا من آسيا وافريقيا هم - اساساً - من البلاد العربية ، وقد نتساءل هنا : **هل كان تشجيعنا أو سماحنا بهذه الهجرة مفيداً ؟ هل كان مفيداً أن نزيد الامكانات البشرية لاسرائيل ، ونزودها بجنود يشتركون في حربنا ؟ وهل يعقل أن نفعل ذلك في نفس الوقت الذي نطلب فيه من الدول الاشتراكية أن تمنع الهجرة ؟**

نخلص من ذلك الى ان مصادر الهجرة

اليهودية قد نضبت او كادت .. ولا شك ان هذا يضع عقبة كبيرة أمام التوسع الاسرائيلي.

أما بالنسبة لدعم الغرب لاسرائيل فانه دعم من أجل مصالح الغرب ذاته. فاذا اكتشفت الولايات المتحدة مثلاً أن تحالفها مع اسرائيل ومساندتها لتوسعها يمكن أن يضر بمصالحها اكثر مما يفيد - وهذا ممكن جزئياً مع تقدم الحركة العربية الثورية ضد اسرائيل - فان هذا التحالف يمكن أن ينفصم.

والأمثلة كثيرة من واقع التاريخ.

نخلص من ذلك الى ان الظروف الموضوعية - في عصرنا الحالي - هي ضد الاستقرار والتوسع الاسرائيلي.. واذا كانت اسرائيل قد استطاعت رغم ذلك أن تتسع ضد التيار فليس مرجع هذا الى براعة اسرائيل بقدر ما يرجع الى فشلنا في استخدام ما في يدنا على النحو المطلوب.

هل تصفية اسرائيل ممكنة ؟

ولكن اذا كانت الظروف غير مواتية للتوسع الاسرائيلي، فهل هي مواتية لنا كي نعالج المشكلة الاسرائيلية من جذورها ؟

لقد اخطأنا حين تصورنا ان حل القضية يكمن في اعداد قوات مسلحة نظامية تفوق جيش الدفاع الاسرائيلي، وعندئذ نستطيع ان نكتسح العدو، ونحرر الأرض الفلسطينية. ولكننا دخلنا في دائرة مفرغة .. وبدا الحل بعيداً كحل مشكلة فورموزا. فمع كل زيادة في تسلحنا كان العدو يسعى الى تحقيق التوازن، فبدا السباق لا نهائياً.

وكانت تتلاحق علينا الأسئلة. ماذا سيحدث لو هاجمنا اسرائيل ؟ وماذا سيحدث اذا بدا اننا سنكتسحها ؟ هل ستتردد الدول الاستعمارية في الوقوف الى جانبها ؟ وماذا عن موقف الرأي العام العالمي والامم المتحدة ونحن نعتدي على دولة معترف بها من اغلب الدول ؟

وماذا سيكون موقف الاتحاد السوفييتي؟ أهل هو مستعد لمخاطر المواجهة مع الولايات المتحدة لكي يمحو اسرائيل؟ وهل هو مقتنع أصلاً بوجهة نظرنا في موضوع اسرائيل ؟

انها اسئلة منطقية، ولكنها أسئلة معجزة، تضعنا في دوامة، وتضع القضية الفلسطينية على الرف .

لقد كان الخطأ في استراتيجيتنا يتركز في نقطتين :

● ان هذه الاستراتيجية استمرار لسياسة الغاء الشعب الفلسطيني ودوره الطليعي في قضيته .. وهي السياسة التي بدأت واستمرت منذ عام ١٩٤٨ .

● ان هذه الاستراتيجية تفترض من الجيوش النظامية ان تهاجم اسرائيل.

قبل الاستطراد في بحث هاتين النقطتين **نوضح ما نقصده بتصفية كيان اسرائيل .**

نحن لانقصد أننا سنعود الى فلسطين ونقضي على القلعة العنصرية عن طريق الإبادة والذبح الجماعي لليهود المقيمين في اسرائيل . كذلك لن يحدث ان تعود الصورة بالكامل الى الوضع الذي كانت عليه قبل ١٩٤٨ . فالتطورات التي حدثت من ذلك التاريخ لابد ستترك بصماتها بشكل أو بآخر . ولكن من الصعب ان نرسم من الآن الملامح الكاملة للوضع الذي سيعقب انتصار الإرادة العربية .

ولكن يمكن القول إن المهاجر الاسرائيلي الذي جاء الى اسرائيل ليجد ان الأرض الجديدة تحقق امناً واستقراراً أقل من وطنه الأصلي، سيفضل في اغلب الأحوال أن يعود . وكذلك سيفضل « الاشكناز » العودة الى اوطانهم الأصلية حيث فرص الازدهار أوفر ، اذا وجدوا أن طريق التوسع والازدهار الاقتصادي في اسرائيل مسدود . انهم سيقتنعون ان الجزء الأكبر من اليهود الجزائريين الذين فضلوا الهجرة الى فرنسا بدلاً من اسرائيل .. كانوا عقلاء جداً .

ومن المعروف — على أية حال ،

وبالأرقام ـ أن الأزمة الاقتصادية التي حاقت باسرائيل في عامي ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ قد أدت الى تزايد الهجرة من اسرائيل الى خارجها فبلغت عام ١٩٦٦ حوالي ١٠٠ الف . ومن المعروف أيضاً ان جزءاً كبيراً من المهاجرين اليهود الى اسرائيل كان يحتفظ بجنسيته الأصلية استعداداً للرحيل في أي وقت .

وفي آخر ايار ١٩٦٧ كانت وكالات الانباء تفيد بأن عـــدداً كبيراً من الصهيونيين شرعوا في تصفية املاكهم ، وتهريب اموالهم الى الخارج . وقد بلغت البطالة في اسرائيل في تلك الفترة ارقاماً بالغة الارتفاع . فقد أعلن ييجال آلون وزير العمل في شباط ١٩٦٧ أن عدد العاطلين عن العمل في اواخر ١٩٦٦ يبلغ حوالي ٩٦ الفاً . وهذا الرقم يساوي ١٠,٣٪ من قوة العمل في اسرائيل . ولقد كان محرر « كول هاعام » محقاً حين قال تعليقاً على كل ذلك : « ان الأزمة ليست مجرد تخبط في سياسة الحكومة .. انها اكثر من ذلك .. انها أزمة النظام الاقتصادي والسياسي لاسرائيل » .

وإن الاختناق الذي بدأت اسرائيل تواجهه في عـــام ١٩٦٦ ، وفي النصف الاول من عام ١٩٦٧ كان ممكناً ان يتضاعف ويزداد حدة لو أننا كنا اكثر قدرة على الحركة ، وفق خطـــة ثورية وواقعية ، خطة تستهدف اضعاف القدرة الاقتصادية والبشرية لهذا الكيان المفتعل ، عن طريق هجرة الافراد ورؤوس الأموال .

حينئذ سيضعف كيان اسرائيل ويفقد قدرته العدوانية . وقد يصبح من الممكن عندئذ ان توجد صيغة معقولة للتعايش مع الأقلية اليهودية التي تفضل البقاء في فلسطين . سيصبح ممكناً أن تنتصر اتجاهات معتدلة بـــين اليهود ، فينبذون الدولة العنصرية وتقوم علاقاتهم بالعرب الفلسطينيين على اساس من الحق والديموقراطية .

اذا كان هذا هو منهج العودة لفلسطين

وتصفيــة « الدولة » الاسرائيلية فان تحقيق هذا الاتجاه كان يتم بعكس الاستراتيجية التي رسمناها في الماضي.

كان من المفروض أن تقوم استراتيجيتنا على غير الأسس الخاطئة التي التزمنا بها .. كان من الواجب ان يكون الشعب الفلسطيني هو القوة الضاربة الأساسية، والجيوش النظامية العربية تقوم مهمتها – استراتيجياً لاتكتيكياً – على اسس دفاعية

ان الدور الأساسي والطليعي للشعب الفلسطيني هو مسألة تبدو بديهيــة ، فالقضية الفلسطينية هي في التحليل النهائي قضيــة من قضايا التحرر الوطني . والشعب، صاحب القضية ،هو المسؤول اساساً عن تحرير بلده .

صحيح ان الثورة الفلسطينية تحتاج الى الجهد العربي ، والى التنسيق مــع الشعوب العربية ، اكثر من معظم الثورات العربيــة الاخرى . ولكن ينبغي ان يوجد اولاً هذا الذي سينسق . لابد أن توجد اولاً فلسطين والشعب الفلسطيني .

منظمة فتح

والحقيقة ان الثوريين الفلسطينيين قد وصلوا الى هذه النتيجة فعلاً ؛ فقد كان هذا هو الأساس الذي قامت عليه حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » .

وحين بدأ الثوريون الفلسطينيون من هذه النقطة ، وصلوا الى السؤال الثاني : ماذا نعمل كفلسطينيين؟وكانت الاجابة : ان الشعب الفلسطيني ينبغي ان يحمل السلاح فوراً ، وان الثورة المسلحــة الفلسطينية هي استراتيجية كاملة للتحرير وليست تكتيكاً تكمله الجيوش العربية التي تزحف الى الاراضي الاسرائيلية .

ان الاستراتيجية الصحيحة تبدأ اذن بعكس ما كنا نرسم .. فحيث كانت الاستراتيجية القديمة تضع دور الشعب الفلسطيني في مركز ثانوي ، كان يجب أن تقوم الاستراتيجية على اساس أن دوره رئيسي .

والجيوش العربية لم يكن مفروضاً أن تعد للهجوم على اسرائيل ، وإنما كقوى تخدم وتحمي قواعد حرب العصابات التي يشنها الفلسطينيون . كان مطلوباً من الجيوش العربية ان تكون قادرة على صد اي هجوم انتقامي توجهه اسرائيل ضدها ، أو على حدودها .

لم يكن مطلوباً أن نهجم ونحتل النقب أو ندخل الى تل ابيب . كان مطلوباً ان تهجم اسرائيل فتعجز عن اختراق خطوطنا وتصاب بخسائر جسيمة سواء في حربنا النظامية أو بالهجمات الواسعة للثوريين الفلسطينيين خلف الخطوط التي كانت اسرائيل مضطرة الى تركها في العراء .

لو حدث هذا .. لأصبحت الظروف مهيأة تماماً لتصفية الكيان الاسرائيلي . كانت كل خطتنا التي شرحناها لتصفية اسرائيل ممكنة التنفيذ .. كان قسم كبير من السكان سيهاجر ذعراً ويأساً .. كانت كل أحلام الصهيونية ستنهار ... كانت القيادة الصهيونية ستتكمش ، وكانت التيارات المعتدلة التي تطلب حلاً معقولاً وغير عنصري ستزدهر وتقوى ، وتصبح ممثلة للاتجاه الواقعي الوحيد بين اليهود الذين يودون الاستمرار في الحياة على ارض فلسطين .

الموقف بعد حزيران

لقد غيرت حرب حزيران الموقف ، واصبحنا امام خريطة جديدة ومشكلات مختلفة .

كيف سنواجه الوضع الجديد ؟

ان اول اهدافنا هو أن تنسحب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في مصر وسورية والاردن . ولكننا يجب في نفس الوقت ان نعتبر هـذا الانسحاب مرحلة من مراحل النضال ضد اسرائيل ليس الا .. ولن نشتري الانسحاب في مقابل الاعتراف باسرائيل ، او أي شيء يعني التنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني .

وبالتالي فنحن مدفوعون دفعاً الى استخدام القوة دفاعاً عن استقلالنا ومستقبلنا .

والجديد في الموقف بعد حزيران ان مصر وسورية قد اصبحتا مباشرة جزءاً من النزاع العربي الاسرائيلي . لم نعد نقف خلف الفلسطينيين تضامناً ودفاعاً ضد خطر محتمل يهددنا ، وانما اصبحنا الآن في الصف الامامي ضد خطر يحتل جزءاً من ارضنا .

هذا من ناحية .. والناحية الأخرى ان باقي الأرض الفلسطينية والشعب الفلسطيني (في الضفة الغربية وغزة) قد وقع في اسر الأعداء .

وقد ترتب على هذين التغييرين ان دور الجيوش النظامية لم يعد مفروضاً ان يقتصر على حماية قواعد حرب العصابات، فحرب العصابات لا يمكن ان تحرر سيناء ومرتفعات الجولان . ومن غير المعقول ان نطلب من الفلسطينيين ان يحرروا لنا سيناء . فهذه مهمة الشعب المصري والجيش المصري .

هذا هو التغير الأول في استراتيجيتنا وفي دور قواتنا المسلحة .

اما بالنسبة للشعب الفلسطيني فقد تأثر وضعه بعد حزيران كذلك . ان واجب الشعب الفلسطيني ما زال مطلوباً .. اكثر من أي وقت مضى . انه الآن طليعة الحرب التحريرية العربية ، ووجوده في ارض العدو قد يكون عاملاً مواتياً لاندفاعه الثوري ولتأكيد فعاليته . ولا شك ان الشعوب العربية كافة تؤمن الآن بأهمية دوره .

ان أوضاع مابعد حزيران تؤكد ان العمل الثوري المسلح الفلسطيني ، والاستعداد العسكري للجيوش العربية هما جزءان متكاملان في حرب واحدة .

في سيناء والجولان ستكون الحرب النظامية الأساس ، وحرب العصابات مساعدة .

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية ذاتها ، فالجيوش العربية لن تحلها لنفس الاسباب التي كانت تمنعنا قبل حزيران . ولكن انتصارنا في ارضنا سيحطم معنويات العدو واستعداداته ، ويمهد الطريق واسعاً أمام الثورة الفلسطينية التي ستصعد عملياتها وتقترب من مستوى الجيوش النظامية ، كي تلعب دورها النهائي والواسع في داخل فلسطين . هنا سيكون دورها اساسياً لفرض حل نهائي للقضية الفلسطينية .

الذكرى المئوية لشوقي :

يحتفل الوطن العربي هـذا العام بذكرى مرور مئة عام على ولادة أمير الشعراء أحمد شوقي .

وفي المهجر ، تقيم الجالية العربية في الأرجنتين مهرجاناً كبيراً في ايلول (سبتمبر) ، وهو الشهر الذي ولد فيه الشاعر سنة ١٨٦٨ .

دعت الى هـذا المهرجان – الذي سيقام في احد المسارح الكبرى في بيونس آيرس – ندوة الأدب العربي في العاصمة الأرجنتينية .

وسيشترك فيه الأدباء العرب في المهجر والوطن الأم وعدد من أعلام الأدب الأرجنتيني ، وربما قدمت فيـه بعض مسرحيات شوقي الشعرية .

نشرة مكتبية :

بدأت وزارة الثقـافة بدمشق في اصدار نشرة مكتبية شبه دورية ، يشرف عليها الاستاذ عدنان درويش مدير احياء ونشر التراث العربي ، وتضم النشرة معلومات ببليوغرافية عن المخطوطات

العربية المصورة على الاشرطة المصغرة (الميكروفلم) المحفوظة في الوزارة .

وقد صدر العدد الأول من هـــذه النشرة ، وفيه المعلومات الضرورية عن ٦٧ مخطوطة من المخطوطات المحفوظة ، مبوبة حسب المواضيع التالية : التفسير وعلوم القرآن ، الحديث وعلومه ، الفقه الحنفي ، الفقه الشافعي ، العقائـــد ، التصوف ، الفلسفة ، اللغـــة والنحو ، العروض ، الأدب ، التاريخ ، تراجم الرجال ، السياسة والادارة ، الفروسية ، الحيوان ، تفسير الأحلام ، الموسيقى .

ترجمة آثار إيفو أندريتش الى ثلاثين لغة :

صدرت في طوكيو مؤخراً اول ترجمة باللغة اليابانية لإحدى قصص الروائي اليوغوسلافي إيفو اندريتش ، الذي كانت قصته (كان هناك جسر على درينا) من اهم اسباب فوزه بجائزة نوبل . كان د. سامي الدروبي قد ترجم هذه القصة الى العربية تحت عنوان (جسر على نهر درينا) ، وقد ترجمت هذه القصة الى حوالي عشر لغات ، وطبعت بالألمانية سبع عشرة طبعة في جمهوريتي المانيا الديمقراطية والمانيا الاتحادية وسويسرا والنمسا ، كما طبعت احدى عشرة طبعة باللغة الايطالية . ومن اشهر آثاره القصصية (وقائع مدينة ترافنك)[1] و (آنيتي) و (القصر الملعون) و (تاريخ صالون الوزير) و (مارا الغانية) و (البوفيه) و (تيتانيك) وقد ترجمت هذه الآثار الى حوالي ثلاثين لغة كالألمانية والعربيـــة والايطالية والفرنسية والانكليزية والتشيكية والمجرية والبلغارية والبولونيـــة والرومانيـــة والاسبانيولـــة والبرتغالية والتركية واليونانيـــة والروسية والاكرانية والليتوانية والليتونية والإستونيـــة والهندية . ونشرت قصصه ورواياته في انحاء العالم ، في الاتحاد السوفييتي والولايات

(١) ترجمة د . سامي الدروبي . مكتبة أطلس . دمشق الطبعة الاولى ١٩٦٤

المتحدة وكندا والمكسيك والارجنتين والبلاد العربية وبريطانيا وهولاندا والمانيا وسويسرا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا والمجر وبلغاريا وبولونيا والسويد والنرويج والدنمرك وفنلندة والهند وإيران ... وأخيراً اليابان .

جفون تسحق الصور :

تحت هذا العنوان صدرت أول رواية للأديب السوري المقيم حالياً في الجزائر د . بديع حقي . نواة الرواية قصة قصيرة نشرتها مجلة (الأديب) في بيروت منذ عشرين عاماً . صور فيهـا قصة بائع ابن في حيه بدمشق ، يصاب بالشلل وتتخلى عنه زوجته . القصة لها أصل في الواقع ، ولكن د . حقي تصرف في هذا الواقع بمـا يعتقد أنه ضروري لفنية الرواية . كانت قد صدرت له آثار مترجمة وديوان شعر ومجموعة قصصية . صدرت هذه الرواية عن (دار العلم للملايين) بيروت .

الموت واللغة :

صدر عن مطبعة الأمان ـ درعون ـ حريصا في لبنان ، مجموعة (الموت واللغة) للأب يوسف سعيد ، وهي بين النثر الفني والشعر الحديث ، كانت حصيلة حالة شعرية عاشها الأب يوسف سعيد إثر وفاة الأديب اللبناني الراحل وثيف خوري ، وعاش الأب يوسف سعيد في جوف دوامة أربعين يوماً وأربعين ليلة يكتب مايعصره المجهول عليه .. وولدت هذه المجموعة تجربة تحاول أن تتجاوز الموت باللغة .

الحية في حياتنا وتراثنا :

صدرت الحلقة ٢١ من سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ، وفيها تحقيق بعنوان (الحية في حياتنا وتراثنا) للمحامي عبد القادر عياش صاحب مجلة (صوت الفرات) ـ دير الزور ـ سورية . يبدأ التحقيق بمقدمة عن حياة الحية ،

واسمائها في اللغة العربية ، وألفاظ أفعال الحية . ثم يرصد الحية في القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والأمثال العربية القديمة ، والشعر العربي القديم ، والقصص العربي القديم ، وأسماء الأشخاص والأشياء والمعاني ، والأساطير والتاريخ والفنون وحدائق الحيوان ، والشعر العربي الحديث ، والشعر الشعبي لأبناء الفرات ، وقصص أبناء الفرات ، والأمثال الشعبية لأبناء الفرات ، ومعتقدات أبناء الفرات ، والأحجية ، والتداوي المحلي . ويبين طرق مداواة اللديغ .

كما صدر للأستاذ عبد القادر عياش كتاب (العصا في حياتنا وتراثنا) ، وقد جمع فيه الأسماء القاموسية للعصا ، ورتبها درجات ، كما جمع أسماءها الدارجة في حوض الفرات . وقدم دراسة عن الأشجار التي تتخذ منها العصي ، وطرق تقويم العصا وتزيينها ، والاتجار بها . وبعد أن استعرض العصا في التاريخ ، عدد استعمالاتها ومنها الجلد . ثم رصد العصا في عادات العرب ، والجنايات التي ترتكب بها . ورجع الى ذكر العصا في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي القديم — الذي كانت تضرب فيه الأمثال بالعصا — والأمثال القديمة والفكاهة والقصص والأدب العربي الحديث والأمثال الشعبية والأغاني الشعبية في حوض الفرات . وبعد أن وصف استعمال العصا في ألعاب الكبار والصبيان ، رصدها في الفنون والمتاحف ومعتقدات الشعوب .

آه ياليل ياقمر :

في نطاق اتفاقية تعزيز التبادل والتعاون الثقافيين بين وزارتي الثقافة بدمشق والقاهرة ، قدمت فرقة الحكيم مسرحية (آه ياليل ياقمر) في كل من دمشق وحلب . تعتبر المسرحية فتحاً جديداً في الكتابة المسرحية العربية ؛ ويدور موضوعها حول تصوير آلام

الشعب المصري وكفاحه ضد المستعمر الانجليزي من جهة ، وضد الإقطاع الداخلي من جهة ثانية ، كما تصور بصورة رائعة التصاق ابن الريف بأرضه وتراث بـلاده . وتعتمد اعتماداً كبيراً على الفولكلور الشعبي في مصر : الأساطير ، القصص الشعبية ، الغناء الشعبي .

كاتب المسرحية نجيب سرور أدخل عنصراً جديداً على الفن المسرحي العربي عن طريق الجوقة ودورها في أحداث القصة وسردها ، على غرار ماتؤديه الجوقة في المسرح الإغريقي القديم ، ولكن الجوقة تكتسب هـنا حركة تسمح لها بالقيام بدور جماهيري .

ويستغل المخرج جمال شرقاوي أسلوب المسرح الحديث في الاستغناء عن الديكور بإسقاط المناظر بالفانوس السحري .

كان التمثيل على مستوى النص روعة وتعبيراً .